

URALIKIRAY

KARITHAT
AL-QIRIM

[illegible]



a32101



001422045b

کارتہ القمر الاسلامیہ

فی الاتحاد السوفییتی

اغسطس ۱۹۵۰

یوسف ولی شاہ اور الکبرای

ممثل

اللجنة العليا للدفاع عن مسلمي القمر

حضرت بادشاه و قسطنطين
بہ بدتر و مشرق

Urālikīrāy, Yūsuf Walī Shāh

بسم

نص ۱۰/۱۰/۱۴

کارتہ القرم الاسلامیہ

فی الاتحاد السوفیاتی

Kārithat al-Qirim

اغسطس ۱۹۵۰

یوسف ولی شاہ اور الکیرای

من علماء الازهر ومدرس

بكلية البنات الفرنسية بالقاهرة

Handwritten notes at the top of the page, including the number 2276.

2276
93533
351

Handwritten text in Arabic script, possibly a title or subtitle.

Handwritten text in Arabic script, possibly a date or reference.

Handwritten text in Arabic script at the bottom of the page.

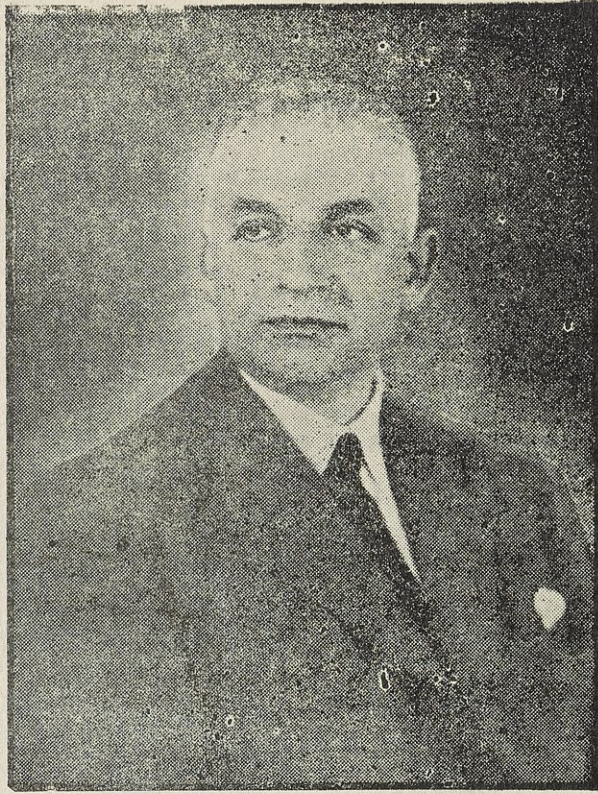
فهرست

- الاهداء صفحة ٤ — صورة الزعيم جعفر سيد أحمد قريمي ص ٥ —
 العلم الوطني — مقدمة الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ص ١١ —
 جزيرة القرم ص ١٧ — صورة صادقة عن القرم ص ١٩ — سكان القرم
 ص ٢٨ — خانية القرم ص ٣٢ — محاولات الروس للاستيلاء على القرم
 ص ٣٩ — شهادة ماركوف الروسي على الظلم القيصري ص ٤٠ — ضم
 القرم إلى روسيا ص ٤٧ — الدوق ريشيليو ص ٥٧ — ظلم القيصرية وثورة
 أكتوبر ١٩١٧ ص ٥٩ — أقطاب القرم يقيمون الجمهورية القرمية ص ٦١ —
 الصراع العنيف ضد الشيوعية ص ٦١ — موقف السوفييت في مستهل عام
 ١٩٣٩ ص ١٢٥ — هجوم هتلر وثورة ستالين ١٢٨ — موسكو تقضي في
 ثلاثين عاما على ٢٥١٠٠٠ ٦٣ شخص صفحة ١٣٠ — التاريخ يعيد نفسه
 صفحة ١٣٢ — ألمانيا تشن حرباً دون سابق استعداد سياسي صفحة ١٣٤ —
 عودة الروس ونقيهم للشعب القرمي صفحة ١٦٢ — معتقلات السخرة
 صفحة ١٦٨ — نداء القرميين صفحة ١٨١

الأهداء

نعظما لشخصك العبقري الماضي في إرشاد مدرستك السياسية ،
وإجلالا لجنودك الأبطال الذين دافعوا عن كرامة الوطن ، وإتحافا لجهادك
المتواصل في سبيل تحرير القرم والأوطان المستعبدة في الاتحاد السوفيتي
أهديك تأليفي هذا بهتاف من أعماق قلبي يا سمادة الزعيم .

المؤلف



حضرة صاحب السعادة جعفر بك سيد أحمد
قريم مؤسس جمهورية القرم وزعيم القرميين
ونصير الشعوب المستعبدة في الاتحاد السوفيتي

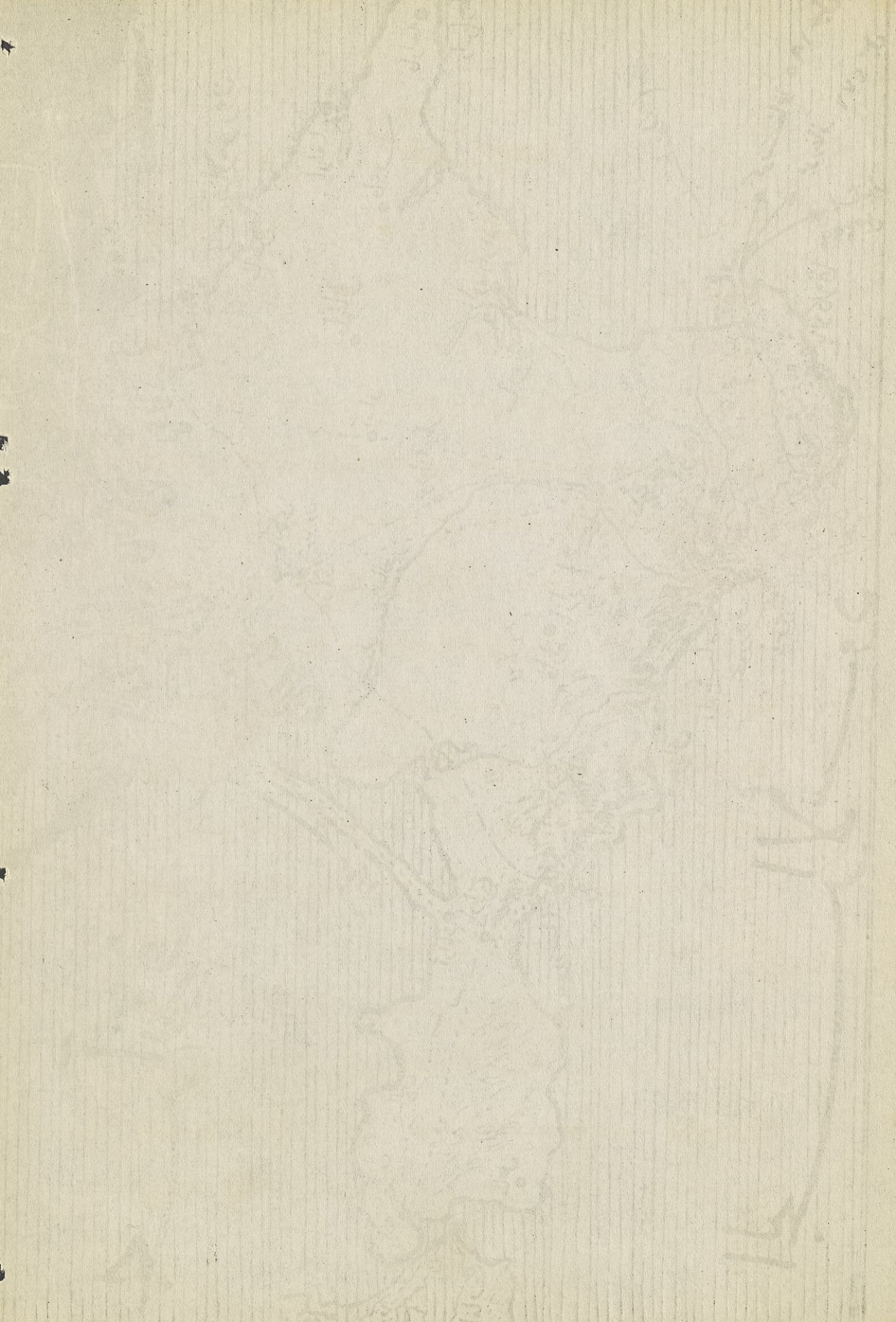
• ZULMÜN TOPU VAR, GÜLLESTİ VAR, KALAS VAREA,
HAKKIN DA HÜKÜLMÜZ KOLU, DÖNMEZ YÜZÜ VARDIR.
GÖZ YUMSA GÜNEŞTEN NEKADAR NURU KARAREA,
SÖNMEZ ELEDİ, HER GECEMİN GÜNDÜZÜ VARDIR. •

TAVFİK SIKAKET



لو كان للظلم مدافع وقذائف وقلاع ،
فلحق ذراع لا تنثنى ووجه غير مضطرب
لا تغمض عينيك من الشمس مهما احتجب نورها
فانها باقية ، وأما كل ليلة فلا بد لها من نهار
نفوذك





المقدمة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

كاتب الشرق العظيم وعضو مجلس الشيوخ المصري

نشأ كارل ماركس إمام الشيوعية من سلالة يهودية ، وكان أجداده
لأبيه وأمه كهاناً متعصبين لمقيدتهم ، غالين في رعاية شعائهم ، ولكن
أباه ارتد عن دينه إلى المسيحية على غير اعتقاد أو رغبة صادقة في الإيمان
بدينه الجديد ، ولكن الاحتيال للكسب والتطلع إلى الوظائف العامة ،
ولا شيء غير « الانهاز » والانجار بالضمير .

ويتبين من تاريخ الشيوعية كلها أنها تعتبر هذا الانجار بالضمائر وسيلة
من وسائلها المشروعة لخدمة المطامع الشخصية أو لخدمة السياسة العامة في
الدولة ، فهي تنادى « بالمسادة » وتنكر كل شيء في الوجود غير المادة
وتسمى الأديان « أفيون الشعوب » لأنها تبشر بعالم الروح وتخدر شعور
الفقراء كما يزعم الشيوعيون ، فيتمثلون بالنعيم الأبدي ولا يشعرون طلباً
للنعم في حياتهم الأرضية !

ولا يهمنا هنا أن نعرض لسخافة الدعوى التي تفسر كل شيء بالمسادة
وهي — أى المسادة — سر غير معروف ولم يره أحد بعينه كما تقر في
العلم الحديث

ولا يهنا كذلك أن نعرض لسخافة القول باختراع الأدبان لتخدع
الفقراء مع أن الإيمان بالدين بين الأغنياء وأصحاب السلطان لا يقل عن
الإيمان به بين الفقراء والمسخرين .

ولكن الذي يهنا هو اتجار القوم بالضمير في مسألة الدين واتخاذ
ذريعة مكشوفة للاحتيال على المصالح السياسية فأت الزعماء الشيوعيين
الذين هدموا البيع والمساجد واعتقلوا القساوسة والرهبان بجزرة
« سلفيتسكي » الجهنمية وجعلوا الصلاة شبهة تثبت على صاحبها الحياة
والتأمر على الدولة ، عادوا في إبان الحرب العالمية فاحتاجوا إلى إثارة
النخوة في جنودهم ووجدوا أن المبادئ الشيوعية هي التي خدروهم وأماتت
فيهم الهمة والشجاعة ، وأن « أفيون الشعوب » هو الذي يشير النخوة
ويبثمت الهمة ، فتملقوا رجال الدين وأذاع ستالين في الرابع من شهر
سبتمبر سنة ١٩٤٣ بلاغاً يقول فيه : « إن الحزب الشيوعي لا يسمه بمد
ما بدا من وطنية رجال الدين في صفوف القتال أن يحرم الروسيين بمد
الآن من حرية الضمير أو حرية الاعتقاد ... »

هذه اللعبة السياسية المكشوفة لم ينخدع بها أحد من الروسيين ولا
غير الروسيين ، ولا سيما الشعوب الإسلامية التي انصب عليها القسط
الأوفر من الاضطهاد بجميع أنواعه وألوانه ، لأن الاضطهاد الذي يصبه
عليهم من يتعصب للمادية الشيوعية ومن يتعصب للعقيدة الدينية ومن

يتمصب للقومية الروسية ويعتبر التكلم بلغة غير اللغة الروسية نورة على
الاستعمار ونورة على نظام الحكم القائم في أيدي الشيوعيين .

وسيطم القاريء العربى فى هذه الصفحات على طرف موجز من
تلك الفظائع الوحشية التى حلت بأولئك المساكين لغير ذنب إلا أنهم
يدينون بشريقتهم ولا يدينون بالشرعية الماركسية ، ويتكلمون بلغتهم
ولا يتكلمون باللغة الروسية ، ويعرفون لهم حقوقاً من حرية الضمير يعترف
بها حكاهم قولا ويعاقبونهم عليها فعلا أشد العقاب .

وإذا كانت الحرب قد أُلجأت أولئك الحكام إلى مجاملة الرعايا
المسيحيين فهى على عكس ذلك قد وضعت المسلمين الخاصمين للسكرملين
موضع التهمة والاشتباه ، خوفاً من ثورتهم وانتفاضهم لما أصابهم من ضروب
المظالم التى تقشعر لها الأبدان .

لقد استباحوا المساجد واتخذوا منها مسارح للهو أو اصطبلات للخيل
أو حظائر للأغنام ، وجمعوا نسخ القرآن والأحاديث النبوية وأحرقوها
فى الميادين العامة ، وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة ونكلوا بالشبان
الأقوياء ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين فأفقرت الديار
وأجذبت المزارع وعمت المجاعة واشتدت قسوة الجوع على الناس حتى
أكلت الأم ولدها وهى تبكى عليه ، ثم نظروا شزراً إلى المحسنين الذين
غفوا لانقاذ المنكوبين فأنهموم بالادخار والوقوف من السلطة موقف

« المتحدى » الذى يأخذ بأيدي ضحاياها ، فقتلهم لأنهم يطعمون الجياع ويعطفون على الآدمية أن يمسحها الجوع مسخ الضواري والسباع . ولو كانت المادية الماركسية تبقى في الآدمى مسحة من الانسانية لرنى المسيطرون لأولئك المنكوبين رثاء الانسان للانسان . ولكن الانسانية كلمة لا معنى لها في شريعة الماركسية ، لأن الشريعة عندهم هي شريعة « الطبقة » المزعومة فكل من عارضها فهو خارج من زمرة البشر مستباح الدم والذمار كما يستباح الوحش أو يستباح البهيم .

وليس قداسة « البابا » حبر الكنيسة الكاثوليكية مسلما تجمعهم القرميين جامعة الدين ، ولكن إنسان يحفظ للانسانية حقها من الرحمة كأنما كان الدين الذى تنتمى إليه ، ولهذا عطف قداسته على ضحايا القرم المسلمين فأرسل إليهم المعونة من الطعام والدواء ، وإن لم تمكنه أحوال الدول من بذل المعونة السياسية لتلك الشعوب المظلومة ، فاستحق الشكر الجزيل من أبناء القرم جميعاً وسجلوا له شكرهم في هذه الصفحات .

وماذا يردع الطغاة المسلطين على ضحاياهم تلك أن ينكروا بها غاية ما في وسعهم من نكال القوى بالضعيف ؟ هل تردعهم عن ذلك عقيدتهم الشيوعية ؟ هل تردعهم عنه أوامر القومية والوطنية ؟ هل تردعهم عنه طبائع الحمجية التى ركبت فيهم من قديم الزمن ؟ هل تردعهم عنه شناعة السمعة في بلاد العالم وقد عزلوا ضحاياهم عن العالم كله من جميع منافذه

ونواحيه ؟ لا شيء من هذا يردعهم عن الفرائس الغزلاء الملقاة بين أيديهم
والموكولة إلى رحمتهم ولا رحمة عندهم في طباع الحمجية ولا في تعاليم
الماركسية ، فما أشقى المساكين الذين حاق بهم ذلك العذاب ولا منقذ ولا
حامى ولا معين .

إنه عذاب لا حد له ولا غاية ، فإن كانت مصيبتهم العظمى مصيبة
الفداء الذى يفتح أعين الغافلين إلى مصير البشر على أيدي هؤلاء الزعانف
الذين حسبوا أن كلمة « الشيوعية » تشفع للآدمى فى نكسته إلى الوحشية
فقد حملوا وحدهم ضريبة الفداء لانتهاذ البشرية من ذلك البلاء ، ولعله إنتقاذ
قبل فوات الأوان .

فنقرأ هذه الصفحات فليقرأها بعين الانسان فانها لنذير مبين لكل
آدمى من أمم الأرض على اختلاف الأديان والاثوطين .

والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
 سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم
 المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم .
 ٧٤ سورة الانفال

كارثة القرم الكبرى في عهد الشيو عيين

جزيرة القرم

جزيرة خلقت ساحرة فانبعثت ، وروضة فياضة تكوّن
 فنضجت ، خطفتها يد آدم من فردوس ربه في طريقه إلى هذا الفلك
 الداني فضاعت عنه واستقرت حيث هي الآن ، ثم ظلت تُمنّي نفسها
 العودة والرجعة من حيث أتت ، تحز في نفسها الحسرة والوعة اللتان
 سجلهما لها الأزل في اللوح المحفوظ . وقد شاء القدر أن ينعم بها أبناء آدم ،
 ويسكن فيها أحفاد حواء من صلب إبنهما يافث إلى أن حلت بها كارثة
 شاب لهاولها الولدان بحيث لا أجد في القاموس كلمة تعبر عنها تعبيراً يؤدي
 معناها ويصورها على حقيقتها سوى أن أصفها في عبارة قاصرة موجزة :
 ظلمت القرم الاسلامية فقامت ، وثار لشرفها فهاجت ، ثم
 ضجت بأولادها فيئست ، وسقطت في الميدان صريخة تلف ممها أفلاذ
 كبدها في سكون أرضها الأبدى التي يغطي كل شبر منها أشباح الشهداء .

نجحت موسكو ، بعد محاولات تأرجحت بين اليأس والأمل ودامت مائة وواحدًا وستين عامًا (١٧٨٣ - ١٩٤٤) ، في القضاء على القرم الإسلامية وفقًا للبرنامج الذي خطه ضدها قادة الروس من بطرس الأكبر وكاترين وغيرهما وبعد آخر مجزرة أعقبت انهيار جبهة القرم في سنة ١٩٤٤ أصدر الكرملين أمره بتجريد البلاد من صبغتها الأصلية وصفقتها الإسلامية بنفي البقية الباقية وهي ما يقرب من نصف مليون مسلم مشنتين وبإبعادهم إلى مجاهل سيبيريا إلى تلك البقعة المحرمة المنحوسة المشؤومة التي طالما قضى تحت ثلوجها القرميون وغيرهم نجيبهم بطرق تدوب لها القلوب المتحجرة .

وكذلك تم لموسكو الجائزة ما تربصت له من عصور وأجيال ، فأسكنت البلاد اليهود والروسين والأوكرانيين وغيرهم من الشعوب السلافية لتحويلها إلى قاعدة روسية لهما ودماغًا ولتشرف منها على مراقبة البلاد التي تحيط بالبحر الأسود .

قاومت القرم هذا الظلم الفادح مقاومة اليأس ، إستصرخت واستنجدت بصوتها الخافت ولكن ... حدث فيها ما حدث ، طفت القوة وظلم الحق ، أستشهد الكثيرون ونفي الباقون جائلين مهددين بالأسين بما تبقى على أجسادهم من شتائم بالية ممزقة ، فتم إجلأؤهم عنها عام ١٩٤٦ دون أن يلقوا نجدة ما من هذا العالم المتمدن ودون علمه ، وذلك على الرغم

من صرخات اللجنة العليا للدفاع عن مسلمي القرم ونداءاتها المتكررة في الشرق والغرب .

صورة صادقة عن القرم

وقضيتهما التركية الإسلامية ضد الروس

طبيعة البدر :

تقع هذه الجزيرة الخضراء في البحر الأسود شمال تركيا على بعد ٣٠٠ ميل على وجه التقريب من الشاطئ التركي الشمالي ، ويحيطها غرباً وجنوباً البحر الأسود وشرقاً مضيق كراتش وبحر آزاق الذي يفصل بينها وبين القوقاز ، وتتصل شمالاً بالقارة الأوكرانية عن برزخ أودقابي (بريكوب) الذي يتسع عرضه من خمسة إلى ستة كيلومترات ، وأما مساحتها فتبلغ سبعة وعشرين ألف كيلومتر مربع أى ما يزيد على ثلثي مساحة سويسرا ، وتنقسم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : سهل منبسط في الشمال يزينه العشب من سندس أخضر تمر خلاله طرق منظمة ومعبدة بالأسفلت ، وطرق حديدية ، وقنوات ، ونهيرات صغيرة يوحى للمرء بمجموع هندستها الطبيعية ، والوضعية ، ومعلمها التاريخية ، وحيواناتها الأليفة والوحشية ، وغناء طيورها المطرب في جوها اللطيف ونسيمها العليل ، يوحى أفكاراً خالدة ترجع

به إلى فلسفة جمال الطبيعة وخالقه . وتراب هذا السهل صاصالي ينبت فيه جميع أنواع الخضر والجبوب ولذلك وصف هيرودوت القرم في كتابه بأنها مخزن العالم فيما تنبته .

وأما القسم الثانى : فنطقة تلال ووديان يمتاز بأن يجمع بين جمال القسم الأول والثالث الآتى .

وأما القسم الثالث : فنطقة الجبال والشواطىء حيث توجد الخضرة وينابيع المياه والغابات التى ترقص على أنعام رياحها الطيور وتتسابق الغزلان التى تأخذ مداعبتها لبعضها بالألباب . وتكسو هذه الطبيعة الالهية الموهوبة زخارف من أشجار اللوز ، والبندق ، والسرو ، والشوح ، والبلوط ، والصنوبر ، والزات ، والتين ، والكروم ، والورد ، والجوز ، والتفاح ، والكمثرى ، والفراولة ، والخواخ ، والبرقوق ، والسفرجل ، والكريز ، والرمان ، وأجناس أخرى لا حصر لها من نباتات الجبال التى تستخرج منها العطور ومواد أخرى كيميائية .

فى جبال القرم مئات الأنواع من نبات تنفع منه الصحة فى تركيب الأدوية . وقد وصلت أنواع الكمثرى فيها إلى ٢٥٠ نوعا ، والخواخ إلى ٢١٠ ، والتفاح إلى ٣٣٠ ، والعنب إلى ٤٥٠ ، وهكذا غيرها من الأثمار (١) ولقد أنشئت فى القرم عام ١٨١١ حديقة نموذجية بالقرب من

(١) « قريم رهبرى » ، ص ٢٦١ - ٤٨٧ - ٤٩٢ المطبوع فى القرم .

الشاطئ، إسمها نيكيتا والتي تبلغ مساحتها ٩٦٣ هكتار (١) نبتت فيها
العجائب والغرائب من النباتات والأشجار .

جبال القرم التي تسكنى بما لا يحصى من أنواع الأشجار
والنباتات فهي، على كونها موردا ماديا عظيما، مصيف نال لقب « ريفيرا »
أوربا الشرقية لكونها منبعاً للمياه المعدنية ومستوصفا لشفاء الامراض
المستعصية .

القرم بلد فريد في احتواء جبالها على ٣٦ نوعا من الصبغة التي يستعملها
العالم . وغابات القرم مع شواطئها تؤلف منطقة ممتازة يتردد عليها الآلاف
المؤلفة من المصطافين والمصايين بأمراض السل والأعصاب .

أما من حيث طبيعة الثروة المعدنية الموجودة في باطنها فهي غنية تقوم
كثيراً بنصيبها في زيادة الرخاء، ففيها وفرة كبيرة من المعادن مثل الحديد
والنحاس والتوتيا والرصاص والنيكل .

الحرير :

توجد في جزيرة القرم كمية كبيرة جدا من الحديد المعدني الذي
عليه تقوم الصناعات الثقيلة، فهي في الدرجة الأولى في روسيا والثالثة في
العالم . وقد اكتشفه العلماء قبل مائتي سنة في منطقة كرتش، ويقدر
هذا المعدن في القرم من مليار طن إلى أربعة مليارات من الأطنان، وذلك

(١) الهكتار عشرة آلاف متر مربع .

مع تضارب الأقوال في تقدير كميته (١).

ويقول المؤلف إن في كرتش حديداً يقدر بـ ١٠ مليارات وثمانين مليون طن مع إبداء رأيه بأن هذا تقدير أولى ، ولم تكمل البحوث بعد في شأن معرفة ما تحتويه المناجم تماماً .

وقد جاء في دائرة المعارف السوفيتية المطبوعة عام ١٩٣٧ أن الكمية المقدرة ملياران وسبعة ملايين طن وعلى ذلك تأتى :

في الدرجة الأولى : مناجم اللورين الفرنسى التى تحتوى على أربعة مليارات وثمانية ملايين طن .

وفي الدرجة الثانية : مناجم نيوقاندلاند الأمريكى التى تحتوى على ثلاثة مليارات وستة وثلاثين مليون طن .

وفي الدرجة الثالثة : مناجم كرتش فى القرم التى تحتوى على مليارين وسبعة ملايين طن .

وفي الدرجة الرابعة : مناجم ليك سوبريور التى تحتوى على مليار واثنين وتسعين مليون طن .

الكبرى :

يوجد هذا المعدن بجوار جبل « أويوك » فى شبه جزيرة كرتش أيضاً وتقدر كميته بأثنين وستين ألف طن .

(١) « بوتون قريم » المطبوع فى القرم عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، نقلا عن تأليف « القرم » - تحت الطبع - لسعادة الزعيم جعفر سيد أحمد قريم

زيت البترول :

توجد في القرم كمية عظيمة من زيت البترول الذي ثبت وجوده في أيام
سالفه لما قبل سنة ١٧٩٢ وأخبر بذلك بالاس ، ذلك العالم الفرنسي الشهير الذي
زار القرم وبحث منطقة كرتش لأول مرة بحثاً جيولوجياً . وفي سنة ١٨٨١
أنشئ في المنطقة المذكورة مصنع لتكرير البترول ، وعلى الرغم من إنتاجه
العظيم الذي كان يتراوح في بادئ الأمر بين ١٦ و ٢٥٠ طناً يومياً أقل
المصنع أبوابه لأسباب خاصة بعد عشر سنوات . وأما الإنتاج الصحيح فقد
بدأ بعد سنتي ١٩٢٥ — ١٩٣٠ إذ حفرت حكومة القرم عام ١٩٣٥ بئراً
في كرتش اسمه « تشونكه لك » بلغ عمقها ٨٣٤ متراً ، وبينما
استخرج منها في أوائل أيامها سدس طن يومياً حدث أن انفجرت عروق
البئر في نفس السنة في شهر أكتوبر ، وفارت ثم طافت ، فارتفع سطح
الزيت إلى عمق أربعين متراً واستخرج ثلاثون طناً من البترول في مدى
عشرين دقيقة (١) .

وقد اكتشف أخيراً وجود الزيت في خمس وعشرين نقطة بمنطقة
كرتش ، وتهتم موسكو كثيراً بهذه المادة في القرم لعدة عوامل منها
العاملان السياسي والعسكري .

(١) جريدة « قيزيل قريم » ، السوفيتية ، نسخة رقم ٢٣٠ ، عام ١٩٢٦

الفحم الحجري :

يوجد الفحم الحجري في القرم بوفرة كبيرة لا سيما في ضواحي
آقسجد « سمفروبول » عاصمة القرم ، وأهم مناجمها في مكان اسمه
« بش أو » (١) .

الكلس :

توجد هذه المادة التي من نوع سايسيلات المغنيزيوم بكثرة بجوار
آقيار « سباسطوبول » ، وتستخدمها نساء القرم بدل الصابون في تلطيف
شعورهن وتلميعها بها ، وهذا النوع من الصابون مشهور في روسيا ويطلق
عليه اسم « كيلي صابوني » والاقبال عليه عظيم جداً لاحتوائه على
عناصر مختلفة منها راديو أكتيفيت .

الاهجار والرغمام :

للقرم طبيعة خلابة تمتاز بأن تكون أسطح جبالها مكسوة طول العام
بالخضرة والأشجار التي لا حصر لأجناسها وأنواعها ، بينما باطنها يحتوي
على كروز تختلف باختلاف الجبال وهبات طبيعتها ، منها أحجار
المنشآت والمرمر بألوانه وأشكاله ، مثلاً الأحمر القاني أو القاتم أو
العقيقى ، أو الأزرق القاتم ، ومنها أحجار تستعمل في تشييد الممارات ،

(١) « قرىم رهبرى » ، ص ٢٤٨ المطبوع في القرم السوفيتية

وتعميد الطرق ، وتنظيم الأرصفة ، وعمليات التبليط ، ونحت التماثيل والزخارف ، ومنها ما يستخرج منه الاسمنت ويصنع منه الطوب الاحمر الممتاز والقرميد والصوان وغير ذلك (١) .

وهذه الأحجار مختلفة الألوان ، فمنها أصفر ، وأبيض ، وأحمر ، ومنها الصلب الذي لامسام له ، ومنها الهش اللين السريع التفتت . وحاجر منطقة آقسجد وكوزلوه وكرتش مشهورة بتصدير أحجارها إلى خارج البلاد ، وقُدِّر ما يستخرج من الأحجار الجيدة النوع في القرم عام ١٩١٤ بثلاثة وعشرين مليون متر مكعب (٢) .

البحيرات والمطبخ :

إن البحيرات المألحة التي بربو عددها على المائة لمى منجم قيم من مناجم المعادن القرمية (٣) . ومجموع مساحتها في البلاد نحو ١٩ ألف هكتار ، وأهمها في منطقة كوزلوه ، وأورقابي ، وكرتش ، وصيواش . فالقرم مشهورة بملاحها حتى في أقدم العصور ، وأهم العوامل التي أثرت في وجوده هو طقس البلاد وطبيعتها . حتى أن ما استخرج من هذه المساحة في منطقة أورقابي وحدها وصل عام ١٨٥٤ إلى ٥٥٤ ألف طن بشهادة الوثائق

(١) « بوتون قریم » ، ص ٣١ - ٣٣

(٢) جريدة « يسكي دنيا » ، نسخة رقم ٤١١٥ ، سنة ١٩٣٥

(٣) « بوتون قریم » ، ص ٢٣٣

الروسية نفسها (١).

ولوجود بعض المواد الغريبة ، بنسبة معينة في عناصر هذه المادة
الرائجة في الأسواق رواجاً هائلاً ، تستخرج من هذه البحيرات عدا
الملح مواد أخرى تساعد في تركيب الأدوية الطبية وذلك مثل بروم ،
والمح الإنجليزي ، وملح غلاوبر ، وكلورمغنسيوم ، وبوراقس ، والمواد
الطبية الكثيرة الأخرى .

المصحات :

مصحات القرم هي منابع الشفاء ودواء لكل داء يصاب به الإنسان ،
والموجودة منها في مناطق كوزلوه وسواحل القرم الجنوبية مع حمامات
الطمي في الشمال ، والمياه المعدنية الباردة ، والحمامات المقامة على ينابيعها
الساخنة كل ذلك علاج فريد تمتاز به القرم دون غيرها من البلاد .

السمك وصيده :

إن القرم ، لكونها بلاداً عزيزة في مناخها الذي فطرها الله عليه ،
فسواحلها الجنوبية لما يسمح للسمك أن يضع بطارخه بسهولة في أمكنة
مناسبة بحيث هي تساعد على كثرته بشكل غريب . لذلك يجدها

(١) « روسيا » ، مجلد ١٤ ، ص ٣٨ ، و « بوتون قريم » ، ص ٤٩ و ٢٣٣

الانسان حوضاً واسماً لأنواع أسماك يصطادها الصيادون القرميون
 بالكثرة ويصطادون خاصة أسماك كفال، وتيرس، وباربونيا، ويورك،
 وكالكان، وغيرها. وتوجد في القرم ستة مصانع خاصة لتحضير الاسماك
 في العلب وحفظها بها بطرق فنية حديثة بحيث إنها تحفظ إما كما هي
 عليها أو مملحة أو مجففة، وفيها أجود أنواع البطارخ التي وصل إنتاجها
 السنوى في هذه المصانع الستة المذكورة إلى ثمانية ملايين علبة وصرف
 سنوياً أربعة آلاف طن من الملح في هذا السبيل (١).

(١) جريدة ديكى دنيا، نسخة رقم ١٤٩، عام ١٩٣٥.

سكان القمر

طاوريون :

في عهد ليس هو أقل من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، كما ضبطه التاريخ ، عاش في القمر المسماة في ذلك العهد « طاوريكا » شعب طاور الذي سكنها ، وكانت الميزة في هذا القوم لاختيار المناطق الجبلية لسكنهم من جنوب القمر . ولم توجد في البلاد القمرية آثار يرجع تاريخها إلى العهد الحجري القديم ، إنما عثر العلماء على آثار يرجع تاريخها إلى العهد الحجري الجديد ، مثل الآلات والأدوات التي صنعتها يد الإنسان ، وأشياء أخرى كثيرة بقيت من العهد النيوليثي ، أي تقريبا ٢٠٠٠ سنة ق . م ، مثل جاجم بني آدم التي تدل ، من حيث علم الأنتروبولوجي ، على مقدرة القوة العقلية لأصحابها القدماء . وللأسف لم يثبت بالحق علميا إلى الآن الجنسية التي ينتمي إليها هذا الشعب ، ولكن الألفاظ التي بقيت منهم في القمر وأهمها كلمة « طاور » ، مشتقة من لفظ « طاو » وترجمتها جبل أشق من صميم اللغة التركية المستعملة فيها إلى يومنا هذا . وتؤيد هذه النظرية دائرة المعارف الانجليزية حيث قالت : « إن هذا الشعب الجبلي القديم سكن القمر ، ولا يعرف من أصوله شيء ، وغاية ما هنالك من الجائز جدا قدومهم إليها من تجاء القوقاز » (١) .

(١) « دائرة المعارف الانجليزية » ، الجزء ٢١ ، ص ٨٣٦

يونانيون و سبت :

وصل طاوريكا حوالى ألف سنة ق . م . يونانيو ميليت من جنوب
آسيا الصغرى وعمروها بمدنيّتهم ، ثم التحق بهم قوم سبت أو « سكولوت »
كما كانوا يتسمون نازحين إليها من الشمال . وكانوا فرسانا أقوياء يحاربون
على الخيول بنبال لها شبه عظيم بنبال المغول فى الشرق ^(١) . وقد ضاع سكان
القرم الأولون قسماً فى مقاومتهم للغزو اليونانى وفى محاربة الجنود اليونانيين
الذين حلوا محلهم وانسحب من بقى منهم إلى الشمال حيث ضاعوا بعد فترة
أثناء مقاومة قوم سبت ، ونشأ بذلك شعب خليط من طاور وصبت الذين
كان بينهم الأتراك كما أثبتت ذلك الحفريات التى قام بها علماء الروس
فى القرم . وقد اتخذ اليونانيون كفه مركزاً لهم واتخذ سبت آقسجد
وبذلك استمروا فى لعاش حياتهم فيها .

القوط :

جاء إلى القرم بعد اليونانيين وسبت قوم القوط فى النصف الأول
من القرن الرابع الميلادى ، وانتصروا على قوم سبت فسكنوا سهول البلاد
وعاشوا فيها رداً من الزمن إلى أن قاجأهم قوم الهون الذين ضاع بينهم
عنصر القوط بعد أن رفضوا الانسحاب إلى الجبال .

(١) « دائرة المعارف الفرنسية » ، الجزء ٧ ، ص ٨٢١

الهون :

وصل القرم في المنتصف الثاني من القرن الرابع المذكور قومُ الهون ،
وهم من أصل الأتراك ، الذين جاؤا إليها من آسيا توسيعاً لأمبراطوريتهم
وسكنوها وعاشوا في منطقتي كفه وإلتا بالكثرة .

الآفاريون :

وقد أعقبهم في الحجب ، في القرن الخامس الميلادي ، الآفاريون وهم
طائفة من الأتراك واحتلوا القرم وظلوا فيها قائلين إلى أن جاء الدور
الثاني من تايخ البلاد القرمية .

الخزريون :

حل الخزريون الأتراك محل الآفاريين في القرم ، في العصر السابع
الميلادي ، وهم من الشعوب البيض وعاشوا في سهول خزريا
وظهروا على مسرح التاريخ في العصر الثاني من الميلاد وأخضعوا لنفوذهم
من حولهم ولقبوا بأنهم أتراك شرقيون أقوياء وأشداء استولوا على شواطئ
بحر آزاك (١) . وبقيتهم في القرم هم القرائيون الذين يبلغ تعدادهم فيها ثمانية
آلاف ويعتق خمسة آلاف منهم الدين اليهودي .

باتسيناق أو تسينيك :

خلف الخزريين في العصر الحادي عشر قومُ باتسيناق وهم شعبة

(١) د دائرة المعارف الانجليزية ، طبعة ١٩٢٩ ، الجزء ١٣ ، ص ٣٦٢

من القوم التركي العريق في نسبه (١).

القومانبيون :

جاء القرم في نفس العصر القومانبيون وانضموا إلى إخوانهم باتسيناق وكانوا شعبة منهم يتحدثون بنفس اللغة التي كان باتسيناق يتخاطبون بها (٢)، وتمذهبوا بالمذهب النصراني بعد أن سكنوا بالكثرة في مناطق كفه وصوداق ويالتا في القرم . وحدث أن نفاهم الجنرال الروسي بوتسكين ، عندما أراق دماء القرميين ظلاماً وعدواناً وشتت شملهم ، نفاهم إلى جهات ميليطوبول في أوكرانيا ظاناً منه أنهم أروام ، إلا أن القومانبيين احتجوا على ظنه وتصرفاته من الاحتجاج فقالوا لهم أترك وليسوا أرواما ولن يخيفهم ظلم الجنرال وعدوانه .

القفقاس :

إنتهى أمر القومانبيين بالحق القرم إلى الأمبراطورية القفجاقية في العصر الحادي عشر، وظلت يحكمها حكم تلك الأمبراطورية إلى أن أقام في العصر الثالث عشر جنكيز خان إمبراطوريته وحلت محلها ثم اقتطع في حياته قسماً كبيراً من أراضي إمبراطوريته وعين ابنه الأكبر، جوجي خان ، حاكماً عليه ثم عين ابنه الثاني ، باطوخان ، خلفاً لابنه الأول لوفاته قبله ، وبني

(١) دائرة المعارف الانجليزية ، الجزء ١٧ ، ص ٦٤٠

(٢) دائرة المعارف الانجليزية ، الجزء ١٧ ، ص ٦٤٠

ابنه الثاني هذا دولة آلتون اوردا بعد موت والده . وانتقل الحكم من بعده
إلى يد برکه خان الذي هداه الله إلى الاسلام فاعتنقه ديناً له وتبعه في ذلك
أتباعه وأشياعه عام ١٢٦٢ الميلادي وطلب من الخلفاء العباسيين أن يتكروا
بارسال بعثاتهم التبشيرية الاسلامية من بغداد التي كان لرجالها أعظم تأثير في
توطيد العلاقات التركية - العربية الاسلامية . وقد أعلن برکه خان الاسلام
ديناً لدولته ، وكانت القرم حينئذ داخلة في نطاق إمبراطوريته ويحكمها
نائبه الأمير أدیکه الذي أسس القرم المستقلة وأحرز في حياته انتصارات
جد عظيمة ضد الألمان والليتوانيين ثم قضى على فتنة موسكو عام ١٤٠٩
واستولي على كييف عام ١٤١٦ .

مناخ القرم :

وعلى أثر انشقاق حدث في صفوف دولة آلتون اوردا قامت عام ١٤٢٨
دولة القرم المستقلة ، ونودي بالخان - أي الملك - الحاج منكلي كيراي الذي
يتصل نسبه بمجنكيز خان ، ثم توارث أبناؤه العرش القرمي جيلاً بعد جيل
حتى ارتقى منهم عليه ٦٩ خاناً ، وازدهرت البلاد أثناء حكمهم لها ، ترعرعت
وتعمرت بالمدينة الاسلامية الطاهرة بيزيد مما يصلح لها من المدنية الغربية ،
وأصبحت تعيش في كنف الطمأنينة ، والسلام ، والعز الدائم ، تحترم نفسها
وحقوق غيرها في التمتع بها مع مراعاة حسن الجوار وقوانين التجارة .

وقد كانوا أقوياء مثل أجدادهم ، أشداء في الحق ، وكرماء لمن يحترم

دينهم وحقوقهم ، يعرفون كيف يذودون عن كرامتهم ، ويتسامحون مع غيرهم إلى أبعد حدود التسامح ، ولكنهم يعلمون أيضاً تأديب الهاتكين لحرمة وطنهم . ولقد أدب ملوك القرم أمراء اوكرانيا وموسكو حين بدأ هؤلاء الاخرون يمشون بالأمن لا سيما على حدود البلاد الإسلامية ، مثل القازان وآسترخان ، التي أقيمت على أراضي إمبراطورية آلتون اوردا الإسلامية . وبعد تكرار هذه الحوادث أكثر من مرة اضطرت القرم إلى إرضاخ موسكو لسيطرتها مع ملاحظة أنها لم تعتمد يوماً إلى خرق القواعد الإنسانية المفروضة على الطرفين المتحاربين ، فكانت تصافح في الميدان عدوها الثابتة ، وتفقر لها أخطاءها وفضائعها ثم لا تلبث أن تعيد إليها حقوقها كاملة غير منقوصة بقلب مشبع بالرحمة الإنسانية والتسامح الديني الإسلامي . وقد كانت المبالغة في مساحة العدو عاملاً خارجياً في هدم القرم وانتحار مسلمي الشمال (أى روسيا) ، وكان مسلمو القرم على الاخص متساعجين دائماً أكثر من غيرهم يحترمون الأديان دون المبالاة بما قد يتستر وراءها من مكر الأعداء الذين كثيراً ما تقنعوا بها في إعادة الكرة على مقدسات الاراضى الإسلامية المجاورة .

وكان أعداؤهم الروس قوماً نزحوا إلى مناطق موسكو من الشمال ، ويرجع الفضل في تأسيس دولتهم إلى خطط بارعة نجح في القيام بها جواسيسهم بالاستفادة من قنن كانت نارها موقدة بين حكام إمبراطورية آلتون اوردا التركية وأيدوا بذلك قيام دولة موسكو في عام ١٤٢٠

مساحة ، حول موسكو ، يبلغ قطرها ... ر ... ٤ كيلومتر مربع فقط . (١)
ولكن النفسية الروسية الطامعة في حقوق غيرها كشفت عن نفسها النقاب
كلما سنحت لها الفرصة ، وبدأت في فترات انشغال المسلمين بغيرها تفتنمها
على حساب الدول الإسلامية المجاورة في غدر وخيانة ، وبهما وحدهما استطاعت
توسيع رقعة حدودها إلى ٢٥ مليون كيلومتر مربع في أراض متماكة الأجزاء .
وتريد موسكو اليوم أن تحول كل جزء منها إلى أرض سلافية كيفية وكمية ،
وليس ما أكتبه مجرد كلام بل أسوقه للقراء بأدلة أخذت عناصرها من
صميم الحياة في هذه البقاع .

كانت القرم دولة كاملة الأركان ترتبط بمن تشاء من الدول ، وتوقع معها
معاهدات الحلف واضعة نصب عينها مصالح القرميين السياسية والتجارية
وسلامة بلادهم المزدهرة التي اشترأت إليها أعناق الطامعين نظراً لموقعها
الجغرافي الممتاز و ثرواتها الضخمة وخيراتها العظيمة ، كما كان خاناتها يعيشون
على قدم المساواة مع أعظم الملوك والأمراء المجاورين يتبادلون معهم المنافع .
وقد اضطر ملوك القرم أن يرجعوا كفة الصداقة البولونية عند ما أثبت
الروس خيانتهم باعتدائهم الشنيع على اوكرانيا واستيلائهم عليها قهراً عام
١٦٥٤ بعد معركة « براسلاو » التي دارت رحاها في ٢٩ يونيو سنة ١٦٥١
والتي فقد فيها الجيش الأوكراني توازنه فقداناً كاملاً . وقل فامين

(١) « نحو فهم روسيا » طبعة انجليزية بالقدس عام ١٩٤٧ مؤلفه فلاديمير

في تأليفه (١):

« وقوزاق زابوروغ إنما أخضعهم روسيا بالقوة ، فمن مدته نستطيع أن نقول إنه تميّنت مطامع الروس جلياً في الحصول على القرم بأية وسيلة كانت مهما كلفهم ذلك من ثمن . ومع ذلك كان خاناتها يستمرون في سياسة التسامح وحسن الظن بالروس ولم يتشاءموا في الاوائل يوماً من مناورات روسيا ، ولكن اندفاعها الغريزي وزحفها إلى خارج حدودها على حساب الدول المتجاورة دون احترام حقوقها ولا اعتبار الواجبات الانسانية خلقت في النفوس شبهة ، ثم أثارت الخان محمد كيراي عام ١٦٥٣ ضدها ، وذلك واضح من خطابه الرسمي الذي بعث به عام ١٦٥٣ إلى آل الكسى ميخايلوفيتش القيصر الروسي المعاصر وإليك ترجمة نصه :

« إلى آل الكسى ميخايلوفيتش قيصر روسيا

بعد التحية والاحترام - أما بعد فنسأل عن صحتكم ، وخطابنا إليكم

كما يلي :

نقطة في منشوراتكم ألفت نظرنا من مدة ، وهي أنكم منحتكم أنفسكم عنواناً كبيراً ولقباً عظيماً ، فأخذتم تكتبون بأنكم قيصر الشرق ، والغرب ، والشمال ، وتلقبون به على حين أن بين الشرق والغرب حاكم مكة والمدينة المنورة ألا وهو السلطان العظيم .

على أنه مع كونه سلطاناً عظيماً لم يكتب عن نفسه أو لم يلقب ذاته

كما تلقبون أنتم أنفسكم ، وكما أنه يوجد من سواد ملوك كثيرون لا يكتبون هم الآخرون كما نكتبون ، ونحن أيضاً نتحارب معكم ثم نصالحكم ومع ذلك لم نكتب شيئاً مما تكتبونه ، ولم نعمل شيئاً قط حتى مما يماثله . وغير ذلك يعيش في دولتنا وفي إدارة السلطان ، الذي هو حاكم مكة والمدينة ، النصاري الكثيرون الذين يؤدي كل فرد منهم عبادته ووظيفته الدينية بكل حرية كما يأمره مذهبه بحيث لا أحد يعترضهم فيما هم عاملون ، ولكنك أنت تسلخ بشرة المسلمين ، إنك تضايقهم كثيراً ، وتجبرهم على قبول دينك ، واعتناقهم إياه ، وفوق ذلك أحرقت القرآن المقدس ، والمساجد والمدارس ، ومزقت المعاهدة المعقودة بمختمها الذهبي ، والتي أبرمت بيننا ، مع أنك كنت تعهدت فيها أن تتولي أمر تأديب قوزاق الدون . فالقسم الذي أديته لم تسترع قدسيته نظرك ، ولم تهتم به ، فقلت أخيراً إنك عاجز عن ضبط أولئك الأشقياء من قطاع طرق الدون .

وعدا هذا لم يحدث في التاريخ أن قتلت دولة رسلاً سياسيين ولكنك أمرت بقتل أحد رسلنا . ثم قُتل الثاني في الطريق ! ومَن من آبائك اقترف ما اقترفت يداك ؟ ! آباؤك كانوا مقتنعين بموسكو فقط ولكنك أهدقت ببولونيا وولاياتها . ثم أرسلت جنودك ليفزوا أراضي القوزاق عدة مرات . وسبق أن كاتبناك في هذا الشأن ، إلا أنك لم تنتصيح فأرسلت جيشاً جراراً للاستيلاء على الأراضي القوزاقية كلها معتمداً على قوتك وتاركاً بعض جنودك في قلعة كيف . كثير من القوزاق جاؤا إلى رحابنا

يطلبون نجاتنا ، فسألنا رأى علمائنا وشاورناهم فأقنوا لنا بأن موسكو
خرقت حرمة المعاهدة .

وحيث إن كتابنا المقدس بأمرنا بانقاذ المظلومين من يد الظالمين فقد
توكلنا على الله ، وامتطينا جوادنا ، فدخلنا بفضل الله علينا ومساعدته لنا في
أراضيك .

نحن نستند إلى الرب الخالق الخالد . لأحد من السلاطين فيما نعرف ،
مسلماً كان أو نصرانياً ، لا نعرف ما اقترفته من الأخطاء الفاحشة . لن
يُعد ما عملته من الأخطاء الدينية عملاً منطقياً . فكل خطأ من هذه
الأخطاء قد جاب عليك عارا ، وعلى دولتك فضيحة ، وعلى جيشك خسارة .
نحن لا نريد التعذيب ، كما لا نرغب في أذية أحد . وإنما نكمل أمر كل من
يريد تعذيب غيره إلى الله سبحانه وتعالى . إذ أن حامينا الأكبر هو الله
جل جلاله .

وختاماً نبعث هذه الرسالة مع رسولنا وهو المترجم عنا .

تحريراً في ٢٨ ذى الحجة [سنة ١٠٦٣] . « (١)

وبعد أن أحس القرميون بظهور الخطر الروسي إهتموا كثيراً بمناورات
الروس السياسية ، كما فهموا خطأ سياسة الحاج منكلي كيراي الذي سار فيها
متساعاً إلى أبعد حدود التسامح ، فوطدوا العزم على إيقاف الروس المستعمرين

عند حدم ، وحاولوا شرح ذلك الخطر لاساسة العثمانيين وإفهامهم إياه على حقيقته ، وسعوا للاتفاق مع شارل الثاني عشر ومع بولونيا ومع حطمان مازيه يا الاوكراني والسكن الروس استغلوا الفرص ، واستمروا في توسيع رقعة أراضيهم شرقاً ، وفي بسط سلطانهم القاهر على الاراضي المغصوبة مما اضطر أتراك القرم رد لغارتهم بمثلها ، وصرفوا جهداً عظيماً وغيره كبيرة في إنقاذ القازان وأسترخان من يد موسكو بدافع الآمال القومية ، وظهر هذا جلياً في خطاب رسمي بعث به دولة كيراي إلى ايفان الملقب بالمجنون ، وفيما يلي ترجمة نصه : -

« أحرق كل شيء لك وأحوه في سبيل استرداد القازان وأسترخان ، وأعد غني هذا العالم بأكمله ذرة واحدة بجانب تحقيق رسالتى . ذهبت إليك ، وأحرقت عاصمتك موسكو ، وكنت طالباً منك رأسك وتاجك ولعنك لم تقاومني ، ولم تقبل الحرب مني ، أما زلت بعد هذا تعد نفسك ملكاً على بلادك ؟ ! ولو كان عندك أقل حياء ، أو قليلاً من العزة ، أو خوف العار فقابلني ولنتحارب ! وإن أردت أن تعيش معنا على الوفاق والوئام فما عليك إلا أن ترد خانتى القازان وأسترخان إلى أصحابهما .

ولو أردت أن أقدم بدلها جزية ، فأعرف يتيماً أن دفائن العالم وكنوزها بأسرها لا تساوي عندي أدنى قيمة ! فنحن نلح عليك بطلب القازان وأسترخان . رأيت حكمك وطريقتك فيه ، وكشفت عن طرق بلادك ، وأعلمها تمام العلم . » (١)

(١) « أهل القرم » مقالة رامبو في مجلة السياسة والادب ، ١٧ أبريل ١٨٧٥ باريس .

محاولات الروس الفعلية للاستيلاء على القرم

فكر الروس في خطورة دولة القرم ومركزها على موسكو ، لذلك لم يترددوا كثيراً في وضع خطط سرية يتخذونها وسيلة للقضاء علي هذه القلعة الاسلامية . ففكر الروس أولاً في فصل تلك القارة الشمالية من الامبراطورية العثمانية من ركنها الحساس حتى لا يجدوا أمامهم من يوقفهم بعد ذلك حين يبسطون سلطانهم على البلاد الشرقية الاسلامية حتى المحيط الهادى كما كانوا يطمحون . وبعد أن تم نسج الخطط الموسكوفية للقضاء على القرم بدأ الروس في حملاتهم المسلحة ضدها ، فجردوا عليها عام ١٦٧٧ جيشاً جراراً بمحاولة الاستيلاء العسكرى ، ولكن شجاعة سليم كيراي الجالس على عرش القرم خيب آمالهم حين طار بفرسانه إلى القرم تاركاً الجبهة التركية حيث كان يشترك في الحرب بجانب جيش السلطان العثمانى ، فأوقع بهم الهزيمة النكراء وطاردهم أشد المطاردة التي ما نسيتم آلامها موسكو أجيالاً وعصوراً .

وبعد ثلثي عصر تقريباً سنحت لروسيا فرصة أخرى فأعادت موسكو الكرة عام ١٧٣٦ في قيادة الأمير مونيخ ، فرد هذا على أعقابها بطريقة هى أشد من المرة الأولى ، ثم أغار الجيش الروسى على القرم في فرصة ثالثة بين ١٧٣٧ — ١٧٣٨ بقيادة الفيلد مارشال لاسى ، ففنى هذا أيضاً بفشل ذريع ، واستغل الروس فرصة رابعة فأعادوا الكرة عام ١٧٧١ بقيادة دولغوروكى ،

فضربت أثناءها ألف قرية ومدن كثيرة مثل باغجه سراي، وقاراصو بازار، وغيرهما، وقد وصف العالم الروسي ماركوف هذه الحملة الشنيعة وتكلم بأسباب ومجرداً عن التحيز والتعصب السلافي عن فظائع موسكو في القرم الإسلامية^(١).

شهادة ماركوف

«بعد أن تم الاحتلال الروسي كان لموظفي الادارة الروسية دور هام أشد خطورة وأبعد أثراً من الاحتلال العسكري . فهُؤلاء الموظفون قد استفادوا من جهل المسلمين باللغة الروسية، وهي لغة القانون والاوامر الرسمية، فكان ثمة إسراف بالغ الغاية وغلو في تطبيق النظام علي المغلوبين . وكذلك استفاد أولئك الموظفون من أن البلاد في نظام انتقالي غير ثابت ومن بُسِدهم عن كل رقابة وهيئة تحاسبهم على أعمالهم ومظالمهم ، كل ذلك جعلهم يأتون ما يأتون وهم لا يرجون حساباً ولا يخشون لومة لائم . فكان الاحتلال في يد أولئك الموظفين أصعب حالا وأعقد جانباً من الاحتلال العسكري في يد سومارا كوف ، ودولغوروي ، وسوفاروف .

لم يكن المسلمون من أجيال يعرفون ماهو العقد ، بل العرف والتقاليد أو بعبارة أوضح السند الذي يكتبه الشيخ كان يثبت ملكيتهم وحدودها . هل تصدق معي أيها القارئ الكريم حالة ذلك المسلم المظلوم ! إنه كان مجبوراً أن يثبت للحكومة الروسية حقه على ملكيته منذ القرن الثامن

عشر وعلى ملكية حديقته وعلى الماء الذى يشربه ويسقى منه وعلى الغابة التى يملكها منذ بداية القرن التاسع عشر .
لقد أجبر ذلك المجاهد بالأمس أن يدافع عن حقوقه المكتسبة أمام المحاكم الروسية وباللغة الروسية وضد الروس الذين جردوه عن ماله ومملكه وجاهه .

نفي عن القرم في عهد احتلال بوتسكين عدد كبير من المسلمين ويقدرهم سومارا كوف^(١) بثلاثة ألف شخص ، كما هجر في سنة ١٨١٢ عدد كثير من القرميين ممن اضطرت تحت الضغط الروسى أن يغادر بلده العزيز، وليس في مقدورى أن أكتب عددهم بالضبط لأن الإحصاء الذى تم على يد الروس ونشر بمعرفتهم بعيد عن أن يكون صوابا . وقد حرمت أموال أولئك المهاجرين وأراضيهم أن توزع على أهلهم وذوى قربانهم أو على المؤسسات الدينية خشية دخول الملاك الجدد في معركة الدفاع في المحاكم ضد الحكومة الروسية .

وكانت بطرسبورغ تتلقى معلوماتها عن حالة الأراضي من الموظفين الروسين ، فإذا قالوا إن هذه الأراضي ليس لها مالك معروف كفى ذلك في أن تنتقل ملكيتها إلي من يرضونه من أبناء جنسهم .
وحكومة بطرسبورغ لم تكن تعترف حقا بالقرم كما نستنتج ذلك من الحكم القاطع الآتى : وهو أنه إذا قيل إن هذه الأراضي لا مالك لها فكلها

(١) دأوقات الفراغ لقاض قرمى ،

مما فيه من حقائق المسلمين وكرومهم تنتقل في لحظة واحدة إلى يد الروس الذين أتوا إلى القرم باسم المدنية وجلب الحضارة .

وكثيرا ما يخطئ المهتمسون الذين يقيسون مساحة الاراضى أو كثيرا ما يتجاهلون بالحقيقة فيتمسكون ثلاثه عشر ألف دسائين^(١) بدلا من خمسة آلاف . وقد حدث كثيرا أن يجد ذلك المسلم المسكين أرضه بيعت دون علمه لاحد السادة الروسيين ، ويذهل عند ما يجد نفسه أمام الامر الواقع وقد وقع عنه على الارض غيره بشهادة شهود بحجة أنه لا يعرف اللغة الروسية .

وإزاء هذه المظالم العامة إرتفع كثير من الاصوات بالشكوى وبلغ مسامع القيصر مما اضطر الحكومة الروسية إلى إرسال لجان تحقيق في هذه الشكاوي ورد الحقوق إلى أهلها . وقد استعمل القيصر ألكساندر وسائل شديدة في سبيل قمع هذه الاعمال الظلمة للموظفين الروسيين في القرم .

يعد تاريخ هذه اللجان التي حفظت مجلداتها كاملة إلى يومنا هذا في دار المحفوظات الحكرمية وفي ديوان الوالي من أكبر الحوادث الشاذة لاني تاريخ القرم فتمط بل في تاريخ روسيا كلها .

وبعد هذا هل هنا عجب على استمرار القضايا التي لم يفصل فيها بعد

(١) دسائين مقياس روسى يزيد على هكتار بشيء بسيط .

في مجلس الشيوخ بين المسلمين والروس في مدة تزيد على نصف قرن ؟
وعند ما كتب مار كوف هذا لم يكن هناك سبيل في الاستفادة من
أوراق الحكومة الموجودة في دار محفوظاتها . ونقل إلينا مار كييفتش
في مقالته التي نشرها في مجلة « أخبار أكاديمية العلوم السوفيتية » بتاريخ
١٩٢٨ في أرقامها من ٤ — ٧ رأي آل كساندر المهم والخاص بهجرة
الأتراك من تلقاء أنفسهم ، وكان يعدها فرصة يجب اغتنامها إذ أن الشعب
المضر لسياسة بلاده في نظره كان يغادر البلاد .

إن هجرة مسلمي القرم إلى الخارج ما هي إلا احتجاج صارخ على
السياسة الروسية الخرقاء . وهذا موضوع تناوله المؤرخون الكثيرون في
العالم وكان أحدهم آل كساندر سر كييف .

يقول سر كييف في إحدى مقالاته التي نشرها في مجلة « إزفستي
طاوري تشنكوي آر خيونوي كوميسيبي » نسخة رقم ٤٩ ، ومهما يبعث ذلك
القول العجب في الإنسان فإن موضوع هجرة أهل القرم إلى خارج البلاد لم
يستطع أن يجد حتى الآن مؤرخه الخاص ومدققه الكامل الذي يليق به .
فهذه الهجرة المؤلمة التي عمت بين الشعب لا بد أن يبحثها مؤرخ مسلم ، ولو
تم هذا البحث فاني على يقين من أنه سيجد أثناء قيامه بعمله عوامل إجتماعية
واقتصادية تؤثر عليه أيما تأثير أكثر مما يتأثر بها مؤرخ غير مسلم .

نعم ، إهتدت الشيبة التركية في القرم بعد ثورة أكتوبر إلى المؤرخ
المطلوب وعرفت كيف تستفيد عن طريقه من وثائق الحكومة القيصرية

السرية التي عجز سر كيف تدقيقه عام ١٩١٣ . وهكذا ظهر على مسرح التاريخ ذلك المؤرخ التركي المسلم الذي أوصي به سر كيف ألا وهو المجاهد العظيم أحمد أوزنباشلي ^(١) مؤلف د جارق حاكيتنده قريب فاجعه سي وياتانار هجرتلري ، أي كارثة الحرم في العهد القيصري أو هجرة المسلمين إلى الخارج وهو كتاب ظهر في اللغتين التركية والروسية في مدينة آقسجود سنة ١٩٢٥ .

كتاب أحمد أوزنباشلي قبل كل شيء تأليف علمي أسند فيه المؤلف كل جملة إلى وثيقة رسمية قصرية وباطلاعه على الوثائق السرية كشف عن أسرار لم يقف عليها من قبله أحد .

أخذت الدولة الروسية عتب الحاق القرم للإمبراطورية في أواخر الثامن عشر تدنو الشعب القرمي إلى تركيا باسم سلطانها وتبث بين الشعب وكلائها من الأرمن والروم الذين تنكروا في أزياء علماء، وتظاهروا

(١) لعب أحمد بك دورا عظيما في إقامة جمهورية القرم الاسلامية عام ١٩١٧ ونفاه الروس إلى سيبيريا من حيث هرب ورجع إلى بلاده ثانيا أثناء تحريرها من الظلم الشيوعي . وعند ما عاد الروس إلى القرم عام ١٩٤٤ انسحب إلى رومانيا وظل فيها مخفيا إلى أن خانه مدرس إيراني مسلم كان يعمل للجاسوسية الروسية ، وأوقعه في شباك « أنكافيدى » بعد أن أضله برقائق مزورة أقنعت أحمد بك بأن طائفة أمريكية مدبرة من قبل زملائه في الخارج ستقوم بهريبه من رومانيا إلى خارج الستار الأحمر . وحدث فعلا أن جاءت في الساعة الرابعة صباحا من اليوم المحدد طائفة ورجالها في أزياء أمريكية وبعد أن أدوا له كلمة السر المصطلح عليها إستقلها أحمد بك ، فاذا بالطائفة تتجه به إلى روسيا بدلا من التوجه إلى المكان الذي قيل له إن زملاءه ينتظرونه فيه .

بأنهم رسل السلطان وكانوا ممن يجيدون اللغة التركية لإجادة تامة فوق
 اتقانهم قراءة سور القرآن على أتم وجه وأبلغ صورة ، وكانوا يخاطبونهم
 في دعواتهم المكتوبة بخطوط ذهبية كما يلي :

« أيها المسلمون ! يجب عليكم ألا تظلموا في حكم الكفرة ، إذ أن الدين
 يمنع الخضوع لهم ، وقد جهز السلطان للمهاجرين أراضي وبيوتاً في الأناضول
 ويدعو كل واحد منكم أن يلبي دعوته » .

فالأتراك القرميون ، بقلوبهم الطاهرة وعقائدهم السليمة ، إعتقدوا
 في صحة الدعوة الموجهة إليهم . وهاجر قسم كبير منهم في سبيل الله دون
 الاهتمام بالشتاء القارس المرير ، أو دون اعتباره مانعاً يعترض طريقهم .
 وألقوا بأنفسهم في سفن شراعية حتي تنقلهم إلى « الأرض البيضاء » أي
 الإسلامية كما كانوا يلقبونها ، فذهبوا ضحايا القدر بين زهرير البرد
 وزوايع البحر ، والهمتهم الأمواج التي تعالت من شدة الأعاصير في
 وسط البئر الأسود . ويؤكد المؤلف أن ثلث المهاجرين ضاعوا وهم في
 طريقهم إلى أرض السلطان والقطر الشقيق .

إحتوى كتاب الأستاذ أحمد بك أوزنباشلي ، فوق احتوائه على
 الحقائق المستخرجة من الوثائق الرسمية والمصادر الصحيحة ، على أغاني
 الهجرة التي جمعها في القرم ودوبروجا و الأناضول والتي يعكس فيها
 ألحان الحب والوداد والحنين إلى وطن مهجور نقش القدر حبه في قلوب
 أبنائه بشكل جديغريب ، وهذه الاغاني الصادقة لما عبرت به القلوب زاد من

روعة تأليفه وضاعف قيمته .

توالت على القرم الاسلامية هذه الحملات الروسية على اختلاف أنواعها وتكاثرت لا سيما بعد خطأ بالطه جى محمد باشا فى معركة يروت — نهر يفصل اوكرانيا عن رومانيا — بأمل استيلاء روسيا عليها وفصلها عن تركيائهما كافها ذلك من ثمن ، إذ أنه فى نظر الروس كان أهون عليهم من ضياعهم أو عودتهم إلى موقف مشابه لموقفهم فى يروت . وتفصيل الحادثة بالايجاز أنه بعد أن خرقت موسكو حرمة المعاهدة المعقودة بينها وبين تركيا جرد السلطان عليها جيشا بقيادة بالطه جى محمد باشا ، فاشتبك الطرفان عام ١٧١١ فى معركة يروت ، وأطبق الفرسان القرميون الذين أدركوا المعركة على الجيش الروسى ، فأسر جيش القيصر واستسلم ، ولم تنقذ الموقف إلا كاترين القيصرة التى عرفت كيف تتقرب من القائد التركى وتفك الحصار بجسمها الرخيص الغالى وبهداياها الثمينة للذى قدم شرفه لأسر جلاله — ، ثم دار الفلك دورته ففازت بمعاهدة كوتشوك قاينارجى — إسم بلد فى دوبروجا البلغارية — وهكذا انتصر فى التايخ سلطان الجلال على سلطان القوة ، وأثرت صاحبته بجاذبيتها وفتنتها الأثوية فى قلب الباشا الذى بقى أسيراً بين ذراعيها بعد أن كانت هى وزوجها مع جيشه أسرى فى يده . وقد احتج الخان القرمى بلهجة محرقة لدى السلطان على تصرف قائده الغادر ، وطلب منه أن يعيده فى الميدان شنفقاً إلا أن السلطان اكتفى ، بعد عزله عن الصدارة ، بنفيه إلى جزيرة مدلى وبعبه إلى

لمنى حيث توفى بعد سنة .

وكلمة الشرف التى قطعها الأتراك على أنفسهم فى معاهدة كوتشوك
قاينارجى ظلت نافذة المفعول وموضع الاعتبار ، بينما عمدت روسيا إلى
نسيج خطط الفتن وتنفيذها قبل سحب الأتراك كلمتهم .

وعلى الرغم من أن روسيا وعدت الأتراك فى البند الثالث من تلك
المعاهدة بألا تمس استقلال القرم ، وبوجاق ، والقوبان ، وأديسان ،
وجامبولق ، وأديشكول ، وألا تتدخل فى شئونها الداخلية ولا الخارجية
إلا أنها عجلت بالحروب وقامت باعتمادات متكررة منتهزة فرصة تصدع
السياسة التركية العثمانية فى أوروبا وتعاقب الهزائم فى صفوف الباب العالي .
ضم القرم إلى روسيا :

لم تتأخر كاترين فى متابعة سياسة روسيا المرسومة فأمرت بتجهيز
جيش تستطيع هي أن ترتكن إليه وتعتمد عليه فى عدم خيبة أملها ، ثم بعد
ذلك تناسلت الوعود ونقضت العهود وخرقتها باسناد قيادة جيشها إلى
معشوقها الجنرال يوماتكين الذى منحته الحرية المطلقة فى كيفية تنفيذ خطة
الاستيلاء على القرم دون المبالاة بما قد ينتج عن تصرفاته من احراق أو
مذابح ، أو تدمير ، وكان يحدث هذا فى وقت قضى على استقلال بولونيا
وليتوانيا ، والبلاد المجاورة الأخرى لروسيا .

هجم الروس على القرم ناقضين عهودهم وحائثين أحلافهم وراحوا بعد ذلك

يقدمون اعتذاراً لهم المزيفة و حججهم الواهية بقصد تبرير ما فعلوه من هذا التعدي الشائن و النقض القاضح ، وفيما يلي منشور ٨ ابريل ١٧٨٣ أذاعته كاترين من بطرسبورغ حين أمرت جيوشها بالاستيلاء على القرم الاسلامية وإليكم ترجمة نصه : —

« بفضل الله تعالى نعلن نحن كاترين الثانية إمبراطورة روسيا وحاكمتها المطلقة ما يأتي :

في الحرب الأخيرة التي نشبت بيننا وبين الباب العالي العثماني إنتصرت جيوشنا البواسل ، وظفرت عليه ، وخولت لنا حق الاحتفاظ التام بالقرم التي كانت بين أيدينا ، ولـكننا ضحينا بهذا الانتصار وبغيره حرصاً منا على إيجاد علاقات ودية ثابتة بيننا وبين الباب العالي العثماني جاعلاً الشعوب الاسلامية دولا حرة ومستقلة لتتجنب في المستقبل الفتن ووسائلها التي قد تؤدي إلى توتر العلاقات من جديد بين روسيا والباب العالي . وقد كانت في توترها فيما مضى حرب ناشأ بسبب الحالة الداخلية للشعوب المذكورة ولـكننا لم نشعر في حدودنا المتاخمة للقرم بالهدوء والأمن ، وهما الشيطان اللذان كانا ضروريان أن يمتجا من التنظيم الذي أعدناه .

لذلك أراني في حل من تعدياتي الخاصة بالتخلي عن القرم وترك شعوبها الاسلامية حرة مستقلة . وأجد من حق أن أعود فيما أعطيت وأن أضع يدي على هذا الاقليم الذي أستحقه ثمرة الفوز العسكري .

هكذا أغارت الجيوش الروسية بأمر صدر من قائدها العليا ويقودها

مشوقها الجنرال بوتكين الذى ظلم القرم ، و نكل بالمسلمين ، وأحرق المدن والقرى ، ونهب الأدوار والقصور وكل ما امتدت إليه يد جيوشه المنيعة ، وهتكت أثناء الاغارة أعراض الأطفال والجائز البالغين الثمانين ، وبدأت المذابح تجري على أشدها فى كل ركن من أركان هذه الجنة فى أرض الرب الخالق ، ولذلك اضطر فى بحر مدة قصيرة أن يهجر القرم ثلثمائة ألف مسلم إلى البلاد الخارجية بعد أن شاهدوا بعيونهم أن الجنرال المغير ذبح فى ليلة واحدة ، على نهر قاراصوبازار ، ثلاثين ألف مسلم بين أطفال ونساء وعجائز . ولم تكن هذه العملية إلا جزءا يسيرا مما اقترفت يده من ظلم فى القرم ، وعلى الرغم من مضي مدة كبيرة على فظائمه استعق الجنرال لشناعة أعماله وتنكيله بالأبرياء سخرية أحد المؤرخين الفرنسيين الذى قال « إن الانسانية تسأل بوتكين حساب جرائمه الشنيعة التى اقترفها فى القرم فى سبيل إخضاع ذلك الشعب الاسلامى المظلوم لحكمه القاهر وليّه امير إمبراطورته » (١) .

كان سبب التجاء روسيا إلى القوة بهذه الشدة رغبها الملحة فى هضم القرم والبلاد الأوكرانية وغيرها التى آتت استيلاءها عليها لكيلا تكون داخل الحدود الروسية أرض متماسكة الأجزاء ليست لها صبغة روسية وأصل سلافى . وقد قل المستشرق البولونى فلاديمير بونجقوسكى تحت عنوان السياسة القومية لروسيا القيصرية : — (٢)

(١) د لاروس ، تحت عنوان القرم . (٢) د نحو فهم روسيا ، الطبعة الانجليزية

« فكرة تحقيق سيطرة السياسة الروسية وتكوين القومية الروسية الموحدة في الثقافة واللغة هما آخر ما ترمى إليهما السياسة الوطنية التي بدأتها روسيا القيصرية وتواليها اليوم روسيا الحمراء .

وقد تحدث عن جوهر هذه الفكرة بالذات نحو أواخر العصر السابق كاتب هندي كان يحب روسيا جداً قدر ما يكره إنجلترا كراهة وبعد أن حاول تأكيد وجود الحرية المظنونة في روسيا ماضى في كلامه حيث قال : إن كل شبر من أرض روسيا في آسيا جزء لا يتجزأ عنها — أوليست هي بمستعمرتها لأنها لا تملك مستعمرات إذ أنها لا تريد أن تكون لها إمبراطورية . إنها لتتبرأ عن السياسة الاستعمارية ، فخلاصة ما ترغب فيه هو أن تكون ذاتها ممثلة في آسيا وباستيلائها على بلاد جديدة لا ترغب في خلق أتباع وإنما تريد أن يكون لها المواطنون عليهم ما على الروسيين ولهم ما للروسيين » .

وعمل بهذه الفكرة ظلمت الدولة الروسية تعمل على تخريب القرم المتمردة تخريباً عسكرياً ، واقتصادياً ، وروحياً على أوسع نطاق التخريب من أقصاها إلى أقصاها وذلك بعد أن شلت مقاومة الحكومة الوطنية واستولت على تموينها ومواقع أمنها ، ثم بدأت تنادى الثقافة العامة والديانة الإسلامية فيها ، ولم تكن في وجه الدولة الروسية في بطرسبورغ حتى أرفع برقع لحشمة تتحاشى من ورائها في شن الحرب على الدين الاسلامي ، وهذا على الرغم من أن الوعد بصيانته كان منطوقاً جهرًا .

هناك الروس حرمة الدين والمساجد بادئين بتحويل مسجد مدينة
صوداق الشهير إلى كنيسة اورثودوكسية عام ١٧٨٣ يعني صبيحة استيلائهم
على القرم، ثم جاء من بعده دور جامع طامان كي يشهد بذلك باللاس
الفرنسي بنفسه .

واستمرت هذه الحالة المؤلمة مدة عصر ونصف عصر أفرغ أثناءها
الروس غضبهم علي القرم ، ودمروا الجوامع والسبل العامة والمقابر
والقصور ، وعذبوا بالمنشآت العامة والمدارس ، وهتكوا الأعراس ،
وارتكبوا جرائم القتل وإفناء الشعب وتقيمه .

وكتب العلماء الغربيون عن القرم كثيراً ، ووصفوا كوارثها في
عهد الروس بحزن وأسى ، وإليك وصف ثلاث مدن قرمية صورها لنا
البروفسور كلارك من كبار أساتذة جامعة كمبرج بعد زيارته العابرة (١) .
مدينة كفه :

إن أعمال التدمير الفظيعة الشنيعة التي تمت على أيدي الروسيين في
مدينة كفه أسالت عبرات المسلمين ، وبعثت الأسى في قلب أتراك
الأناضول الذين تجلبهم تجارتهم للمسير إلى هذه البلاد التعسة ، وكذلك
أثارت غضب كل شعب مستنير يحب الحضارة ويؤمن بها . ولقد شهدنا
أثناء إقامتنا في مدينة كفه عساكر الروس يهدمون جوامع هذه المدينة
أو يحولونها إلى حوانيت للتجارة ، ويسقطون المآذن العالية ، ويخربون

(١) رحلة إلى روسيا وبلاد التتر وتركيا ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٦ و ٣٢٣ و ٣٣٨

الآبار العامة ، ويهدمون قنوات المياه ليتجهلوا من وراء ذلك كله على القدر اليسير من الرصاص . هذه هي طبيعة الحماية الروسية ، وتلك هي ثمرة اتحادهم مع الدول الضعيفة التي يوقعها سوء طالعها ، ويجعل منها ألوية في أيدي الروسيين الطغاة ، اغتراراً بأساليبهم الخداعة الغرارة . وبينما كان الضباط ينجزون الأمر الموكل إليهم كانوا سعداء ، وكل هذه التخريبات الفظيعة المروعة صادفت من هؤلاء الطغاة هوى ، وكانت المآذن العظيمة الجميلة التي روعتها تريد البلاد شرفاً وجمالاً تهدم يومياً ، والمعاهد الدينية كانت خرقت حرمتها أسوة بالجوامع ولو أن تخريبها لم يكن يجلب للروس أية فائدة سوى رصاص ضئيل لبض الجنود والفضة للضباط . وأشد ما أأحزن القرميين وحز في قلوبهم هو تخريب الآبار العامة وأنايب المياه التي تنقل لهم ما يحتاجون من مياه نقية في أعالي الجبال ، فلقد كانت لهذه المؤسسات فائدة عظيمة بعيدة الأثر في صحتهم ورفاهيتهم ، وبمض هذه الآثار كان يرجع إلى عهد قديم جداً وبعضها كان يزدان بأحواض رخامية بديعة نقش عليها الكتابات التاريخية الجميلة .

وأما الرخام المنحوت الباقي من العهد اليوناني القديم فلم تهادف أيضاً مهيراً أحسن مما أسلفنا ذكره بحيث لم تبق فيها تقريباً آثار يونانية قديمة . حافظ المساهون عليها ، وعنوا بأمرها ، وظلت النقوش ناطقة بعظمة هذا العهد ، حتى جاء الروس ونسفوا هذه الآثار القيمة نسفاً ، وحطموها تحطيماً ، وباعوا أجزاءها كما يباع سقط المتاع .

مدينة قاراصو بازار :

إن الخسارة التي أصابت مدينة قاراصو بازار ، كثرات الاستيلاء
الروسي على القرم ، خفيفة بالنسبة للمصير الذي انتهت إليه مدن القرم
الأخرى ومع ذلك تشاهد فيها آثار الدمار جلياً ويرى الزائر شارعاً طويلاً
كانت ترينه فيما مضى دكاكين عامرة ، فأصبحت الآن كومة خراب .
وزيادة في الظلم منع الروس المسلمين من إقامة شواهد على مقابرهم
وحطموا ما وجدوه فيها تحطماً لينبوا به منازلهم علماً بأن البلاد كانت تحتوي
على أحسن أنواع الأحجار .

بأعجبه سراي :

وكذلك من الصعب العسير على قلم الواصف لهذه المدينة أن يذكر
بالتفصيل ما أصابها من تخريب عام وتدمير فظيع . فهمجية الروس
ووحشيتهم الفظيعة كانت ترضى نفسياتهم بتدمير المدينة وتسكن شهواتهم
الجائعة وجهم الفريزي للأنلاف والافساد . ولا شاهد أدل على ذلك من قصر
الخان الواقع في وسط المدينة على مهبط من واد جميل والذي أبدع
صنمه وزود بما يجعله مشوياً طيباً يصفو به المقام للخان . فقد صار الآن
أثراً بعد عين ، ولا يمكن لزائر أن يتبين موضعه إلا بإرشاد هاد خبير ، وقد
ذهب أكثر من ثلثي أبنية هذه المدينة العظيمة ونسف بأيدي الروسيين .
ولو أنني ذكرت وحشية هؤلاء الظالمة وما أتوه من نهب وسلب وسرقة
لأهالي القرم لكان ذلك مما يبعد تصديقه بحيث يكون شديهاً بالوهم والخيال ،

وكتب دى بوا الفرنسي (١) بشأن فظائع الروس فى القرم يقول إن الحكومة الروسية عملت على تحويل أجل الجوامع إلى كنائس إغريقية فى سائر المدن التى تفتحها وخاصة عند ما هجرها الأهالى المسلمون . ومثلا قلبوا « بويوك جامع » ذلك المسجد الفخم الجميل العظيم فى كفه (تيودوسيا) إلى كنيسة مسيحية . وبدأ الروس أولا بنزع الطبقة المعدنية الجميلة اللامعة التى تغطى السقف ، ثم باعوا ما حصلوا عليه ولا أدرى لصالح من باعوه . وقد صار لهذا الجامع بعد تحويله إلى الكنيسة بعد سنتين منظر يبعث الأسى والكآبة فى النفس . وأحد حكام مدينة كفه ، ناقل تمائيل الأسد من فاناغورى إلى حديقته الواقعة بضاحية المدينة ، أتى إلى الجامع السابق يوماً وأمر أيضاً بنقل أجل أعمدته الاسطوانية إلى حديقته المزعم لإنشاء الكنيسة فيها .

وعند ما وصفت ذلك الخراب فى سنة ١٨٣٢ كانت بجانبه مؤسسة أخرى هي الحمامات التركية الكبرى التى تتطلبها الطهارة فى الاسلام ، ويلزم وجودها بجانب الجوامع والمساجد . وكانت تلك العمارة المظيمة تتكون من غرفتين عريضتين كبيرتين يدخلهما الشماع من قبعيها الجليتين وأما الطنف الخارجى من العمارة فكان المثل الأعلى فى جمال العمارات مع سذاجتها . استعمل المسلمون فى بنائها الطوب وزينوها به ، وكان ذلك الحمام من أجل مؤسسات مدينة كفه الذى كان يزين ميدانها العظيم . ولكن حجبت

(١) كتاب « القرم » - تحت الطبع - للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر

نظر الحاكم كازناتشيف — رجل من أجهل الرجال الروسيين وليس يفهم شيئاً قط عن الجمال الفني ولا عن قيمة الآثار وفائدتها العلمية العامة — مسألة توسيع الميدان في المدينة بنسف بقايا الجامع والحمامات . وقد ارتاع الشعب لهدم هذه الحمامات عامة في كفه ، فأرسلوا إلى الكونت فورونوف شافعاً منهم يشفع في إبقائها على ما هي عليه ، ولكن الحاكم وقد كان يرى الهدم ضربة لازب لم يقف لحظة واحدة بدون عمل ، ففضى على هذا الأثر رغم متانة قبابه العظيمة وحصانه أركانه وجوانبه .

استمر الروس يكيلون ضربتهم القاسية على الشعب باضطهاد علمائه وطلابه في الداخل والخارج وبتضييق الخناق عليهم من كل جانب . فكان الاعتقال والحبس والتشغيل وأنواع أخرى من التعذيب جارياً على الإطلاق ظلاماً وبهتاناً . ومثلاً أصدر قوخوفسكي أمره إلى بوتمكين ، في ٧ فبراير ١٧٨٣ وقد كان حينئذ حاكم مقاطعة طاوريدها ، بالقاء القبض على أئمة كوزلوه وأورقابي بعد دعوتهم إلى آق مسجد ، ونفي كل منهم إلى المنفى .

ماذا كان السبب في اعتقالهم وتعذيبهم ثم نفيهم ؟ السبب والتهمة الموجهة إليهم كان صيامهم ثلاثة أيام وذبحهم بمض الخراف كقرايين ، فوصل إلي علم الروس بأن هؤلاء الأئمة يسألون الله كشف ما حل بهذه البلاد الوداعة .

هذه أحكام كانت منتشرة في الأوقات العادية وما أدراك بالذي

يحدث في الأوقات العصيبة الرهيبة؟ (١)»

بسطت موسكو سلطانها على القرم، وبدأت تستولي على أوقاف المسلمين فيها وبعد أن صادر الروس أملاك القرميين، وقيدوا حريتهم، وهدموا استقلالهم، مدوا أيديهم إلى أموالهم الموقوفة عليهم، والتي كانت تؤمن على كثير منهم الرزق، وتسهل لهم سبل العيش، فهم بهذا العدوان الجائر ظالمون أيضاً للموتى الذين وقفوا هذه الأموال وجسوها لهناة الأجيال والأعقاب من بعدهم، وكما أن الروس منعوهم من الحج إلى مكة المكرمة ومن التعليم القومي، وبكى الروس المنصفون أنفسهم لهذه الحالة المؤلمة وقال أحدهم بعيداً عن التعصب في كتابه (٢) « بالله علينا، دعنا ننظر إلى الأشياء من حيث هي، ولننطق بالحقيقة. هل صار القرميون على أيدينا أحسن حالا وأوفر سمادة مما كانوا عليه من قبل استيلائنا على بلادهم؟! » وجاء في فقرة أخرى من نفس التأليف « نحن لم نأت للقرميين بأقل شيء من أوربا ولم نعمل غير تقييدهم وبه خفضنا نسبة التعليم في بلادهم إلى أبعد حد. نحن لم نقدم لهم أية مساعدة، وكما لم نسمح لهم بأي تساهل أو مساعدة ».

لم يستطع الشعب القرمي المسكين الصمود في وجه الروس أكثر من هذا، فبدأت الهجرة بطوائف في فترات مختلفة أهمها عام ١٧٩٠ — ١٨١٣

(١) كتاب كريتشيونسكى ، ٤١ — ٤٢

(٢) « وصف القرم » ، ص ٣٤٨ نقلا عن كتاب « القرم » ، للزعيم جعفر سيد أحمد

١٨٦٠ - ١٨٦٣ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ - ١٩٢١ ، وضاع ، زيادة على هذه
النكبة ، تلك المهاجرين في الطريق في عرض البحر بسبب ثورة الطبيعة
وعدم وجود معدات كافية وتجهيزات كاملة لدرء الخطر البحري في
زهرير الشتاء .

الدوق ريشيليو :

الحاكم الفريد الذي يحمل له مسلمو القرم الذكريات وأطيبها
فهو الدوق ريشيليو الفرنسي الأصل . كتب زعيم القرم في كتابه مستنداً
إلى المصادر الأوربية يقول : « لقد مضى على العهد الروسي في القرم عصر
ونصف عصر لقي فيها الأتراك من الروس صنوف الظلم والاضطهاد ، وكانوا
يلجأون إلى الهجرة وهم لها كارهون ، وإذا كان لنا أن نذكر عهداً رضى
عنه الأتراك في القرم فذلك عهد الحاكم الروسي الفريد الدوق ريشيليو
الذي كان فرنسياً وليس روسيا . كان هذا الدوق قد حكم طاوريدا برفق
عظيم وقلب حنين وفكرة طائلة وكان ذلك قبل أن يحرر بلاده فرنسا
في سنة ١٨١٨ من القلاقل والاضطراب .

وكتب السكونت مورافيه بعد عدة سنوات من عودة هذا الأمير
من القرم إلى بلاده فقال : لم أهتم إلى رجل غير الدوق ترك أحسن
الذكريات في خارج بلاده . يذكره أهل القرم دائماً بكل عظمة وجلال
وتأثير عميق ، وترسم على القسمات سيمات المحبة والحنان . قال لي حاكم

غورزوف نحن نأسف كثيراً لبعده عنا ، ثم قلته على معرفتي الشخصية للدوق ، وكان هذا بمثابة أحسن توصية لأهل القرم حتى فافت في قوتها الفرمان . وإني لعاجز عن وصف كيفية استماعهم إلى عند ما قلته إن الأمير أول رجل بعد الملك يتمتع بحب بلاده له وبخزانه ، ولربما سوف يأتي لزيارة الأوطان التي بقي بين أهلها ، وإنه ليدكر كم دائماً بالحببة والتعظيم ، ويدكر أيامه الجميلة بالقرم ، ويحن إلى مشاهدتها وآثارها ، ويرجو أن يزورها من جديد . فوجدت من السامعين نظرات تم عن المحبة والحنين كما رأيت الأعين قد بللنها دموع لا ريب أنها دموع التأثر والشكران ، وكلهم دعوا في لهجة واحدة « ربنا يحقق أمله » .

لم تخمد في القرم يوماً نار الثورة والصراع بين المسلمين والروس ، ولكن مقاومة هؤلاء الأخيرين بأسلحة مكنها لهم مركزهم كانت تنهي المسألة لصالح روسيا . وهكذا لم تفت فرصة من الفرص إلا والقرم نائرة على أعدائها غير أن النحاس والفشل حالها في جميع الأدوار . كان أملها عظيماً في التحرر أثناء حرب القرم عام ١٨٥٣-١٨٥٤ ، ولكنها انتهت أيضاً بدون فائدة ، فظل الاظلام يحيم على القرم وينشر جناحيه على القرميين الذين استطاعوا أن يستفيدوا سياسياً من التطاحن بين اليابان وروسيا عام ١٩٠٥ فنجحوا في إرسال وفودهم إلى « دوما » أي البرلمان الروسي حيث تجمعت أيضاً الوفود الإسلامية من القوقاز ، وايديل - اورال ، والتركستان للدفاع عن حقوقهم المتضامنين ، وعرض ما أصابهم من ظلم قاس وعدوان شائن في ظل الحكم

الروسي لأولى الأمر، إلا أن العقليّة الروسية لم تعد قادرة على فهم مشكلتهم المعروضة، أو بعبارة أخرى لم ترغب بطرسبورغ في التراجع عما خطه لها قادتها الأولون، فجل ما اكتسبت الدولة النيصيرية في هذا المؤتمر البرلماني هو أنها أجمعت عن غير قصد كلمة الشعوب الخاضعة لامبراطوريتها على التآلب عليها وسببت في انتظام قوة تلك الشعوب المظلومة بالجهة المعادية المتعددة كرد فعل مباشر لعمل حكومة بطرسبورغ، كما فعل ذلك جان سان تير ملك إنجلترا في القرون الوسطى بالنسبة للشعب الانجليزي^(١).
 إنسعت الامبراطورية الروسية ووسعت رقعتها كثيراً، وزاد الظلم فيها كلما اتفخت بطرسبورغ مختالة نفورة حيث ظلت السلطة البوليسية مركزة في يد حكام روسيين كانوا هم حفنة مختارة فيها. زاد الظلم والفقر، وانتشرت العبودية والسخرية مما ألب الروس أنفسهم على الدولة القائمة، فعجل القيصر بالطرق التغنيّة التي سلكها القضاء على روسيا، فقامت ثورة الشعب عليه وعلى حكمه في سنة ١٩١٧، وأعلنت الجمهوريات الاسلاميّة وحقوق المسلمين وغيرهم في لهجة مثيرة لمشاعر الانسان وفي شكل أطفى ذلك في الأقوام المختلفة على الحماسة القومية وأحيا روح الاحتياط والتدبير اللازم لوجوب صرع القيصر ودولته المانية وإدامة استقلال البلاد وإعادة مجدها السابق. وقد أرادت مشيئة الله أن تُنطق عظماء الروس أنفسهم، إعترافاً بالمظالم الجائرة التي وقعت على المسلمين والأيام المظلمة التي مرت

(١) تاريخ إنجلترا، مؤلفه آ. موروا

بتاريخهم وأن تحمل لينين في أوائل الثورة أى في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٧
على إعلان منشوره الذى وقع عليه هو وستالين وإليك ترجمة (١) :

« أديانكم ، وعاداتكم ، ومبادئكم العلمية والقومية مصنوعة عن كل
اعتداء ، نظموا حياتكم القومية تنظيما يستند إلى أسس الحرية والاستقلال
وهذا من حقهكم الشرعى ، إعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق
الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها ، إعملوا على الانقلاب ، وحذبوا
الثورة ، وساعدوا حكومة البلاشفة . أيها الرفاق ! إننا برفع علمنا هذا ،
إنما نعلن للشعوب المستعبدة فى روسيا شعار الحرية والاستقلال . أيها
المسلمون ! نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية » .

شائع ، فى بادئ الأمر ، قسم قليل من القرييين الاشتراكيين
البلاشفة ، وعقدوا النية على التعاون معهم فى شئون الثقافة ، وربما كان ميلهم
لهذا الاتجاه نتيجة رد فعل أحدثته مظالم الحكومة القيصيرية فى نفوسهم
وذلك فوق ما هم وجدوا فى المنشور الشيوعى الشهير بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة
١٩١٧ من حديث يعترف فيه البلاشفة بالحقوق السياسية لشعوب روسيا
قاطبة . وقد لفت هذا المنشور أنظار الناس من حيث احتوائه على مسائل
هامية ، إذ أنه تناول موضوع المشكلات وحل المعضلات السياسية على
أسس قومية وطنية ، وهى الغاية التى كانت الأقوام الغير الروسية تفاضل
من أجلها منذ أمد بعيد ، وتتصارع مع الدولة الروسية فى سبيل تحقيقها .

(١) كتاب « الثورة الروسية » ، للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر .

وجاءت في هذا المنشور مسائل كثيرة وأهمها:

- (١) منح حق المساواة لجميع من يعيش في روسيا .
- (٢) تقرير الأقوام لمصائرهم بأنفسهم أو الاعتراف بحريتهم المطلقة وحتى الاعتراف بحقوق من يرغب في إقامة دولة مستقلة بالانفصال عن روسيا البلشفية إنفصالا كاملا كما جاء ذلك في المادة السابعة عشرة من دستور الاتحاد السوفيتي .

أقام أقطاب البلاد الجمهورية القرمية أثناء الثورة الروسية ، وشيدوا صرحها ، وانتخب السامون المفتي الأكبر تشلي جهان رئيساً لها ، ووضعوا دستور الجمهورية وعلمها خفاق على قصر « خان سراي » الذي اتخذته الدولة مقراً لبرلمانها ، وتشكلت الحكومة الرسمية ، واعترفت بعض الدول بالجمهورية الناشئة ، وكانت بعضها في طريقها إلى الاعتراف بها ، وأسرعت بولونيا بتبادل السفراء إلا أن الفوضى في داخلية روسيا ضربت أطنابها من جديد ، وبدأ الصراع بين القرميين وبين الشيوعيين الذين اشتدت سواعدهم بعد القضاء على حكومة كرانسكي في بطرسبورغ ، واسكوروبادسكي في كييف ونقض لينين وعوده وبدأ هجومه على الجمهورية القرمية في فترات ثلاث مختلفة بين ١٩١٨ و ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، ولم يستول عليها تماماً إلا في هجومه الثالث الذي جاء نكبة على القرم وتعاقت الثورات فخرجت هذه من ورائها الكوارث ، ثم قضت عليها موسكو كلياً عام ١٩٤٦ بنفي الشعب القرمي الاسلامي بأسره إلى مجاهل سيبيريا بعد المجزرة التي قام

بها الروس في البلاد ، وستبقى أعمالهم الشنيعة هذه وصمة عار في جبين موسكو تنطق بشراسة الروس وهمجيته .

إستولى الشيوعيون الروس على القرم مضرجة بالدماء ، وانسحب الشبان إلى الجبال ، واعتصموا بها ، واستمر الشعب في حنقه على الروس دون أن يستسلم ، فجاء عام ١٩٢١ حيث فرضوا على القرم الجوع فرضاً وذهبت ضحيته ١٥٠.٠٠٠ شخص بدون ذنب ارتكبه به حيث مات منهم في البيوت والطرفات العامة والحقول مائة ألف باحثين عن أرزاق قد تسد لهم رمق الجوع الفظيع ، وأما الباقون من هذا الجيش الجائع فقد يئسوا بعد أن استحال عليهم المساعدات الخارجية فهجروا القرم إلى الخارج ، وأثقت حياة الشعب القرمي الباقي بفضل النشاط العظيم الذي قام به زعيم القرم حضرة صاحب المعالي جعفر بك سيد أحمد وبفضل اتصالاته مع مصطفى كمال وغيره من عظماء الأتراك في أنقرة والبابا في روما والأمريكيين الذين اشتركوا جميعاً في إنقاذ هذا الشعب البائس المظلوم .

قابل الزعيم البابا في فاتيكنا بأمل لعل قداسته يحول دون المظالم الروسية في القرم ، أو يقدم على مساعدتها فيسير العالم المسيحي في ركابه لاسماف ذلك البلد الممذب المضطرب ، إلا أن ظروف روما السياسية وإن كانت ساعدته في مديد المعونة المادية المطلوبة فانها لم تسمح له بمساعدتها سياسياً . وأريد هنا أن أسجل ثناء القرميين على فاتيكنا إعترافاً منهم بحميته الانساني وبشقته النفسية التي يجب أن تكون عبرة لقادة

المسلمين أجمعين . قال رئيس وزراء البابا للزعيم القرمي « سعادة الزعيم ، إنك مسلم لجأت إلى رحابنا والفرق بيننا عظيم من حيث الدين . لذلك دعنا ننظر إلى هذه المسألة التي تعرضونها علينا من ركن إنساني نظرة كلها حنان ورحمة وشفقة . إن فاتيكان يفهم أنكم معذبون حقاً ، ولأنى شخصياً أحس ما يحس به كل فرد من شعبك التمس الذي يتضور المأمن شدة الجوع وشقاء السياسة الحالية ، وسأعمل جهد طاقتي حتى يرفع الله عن القرم ما حل بها . . . » . وبعد ذلك استقبله البابا ووعدته بإسعاد القرم ، وفعلوا نفذ وعده ، وعند توزيع الأرزاق عمد إلى أن يتم ذلك على أيدي أئمة المساجد في القرم . وكان السبب واضحاً في ذلك ، إذ راجع رجال فاتيكان موسكو قبل هذا التاريخ مرتين يطلبون منها السماح لمساعدة شعب القرم في محتته ، فكانت موسكو تجيبهم بالرفض في حين أنها صرحت للدوائر نفسها بمساعدة تشاريتشين « حوض فولغا » وعلى الرغم من معرفة البابا لاعتناد الروسي البلشفي قام علي رجاء الزعيم القرمي يتلمس طريق الوصول إلى إسعاد القرم ، فقوة إيمانه بربه هدت به إلى باب عرف كيف يدخل منه ليساعد من ليسوا على دينه مساعدة إنسانية كريمة تلهج الالسنه بالشكر والثناء .

نعم ، لقد فرض الروس هذه النكبة على القرم فرضاً ، وأحدثوا الجوع عمداً وإن كان مماثله في نفس السنة حدث على ضفاف نهر فولغا وما يجاوره من البلاد ، ولكن مع عظيم الفارق في المسببات التي أدت إلى

ظهور هذه الحالة في القرم وظهورها في حوض فوانا . فما ظهر في البلاد
الاوكرانية في حوض فوانا كان سببه قحطاً أصاب البلاد في تلك السنة
وما ظهر في القرم كانت حالة تجويع وليس بقحط والفرق بينهما يمين واليسار
براهانه :

ظهر القحط في نفس السنة في حوض فوانا ، وتكلمت عنه الجرائد
العالمية باسمها ، ومات الألوف المؤلفة من سكانها لأن أراضيها الزراعية
الواسعة الأطراف وإن هي زرعت لم تنزل عليها أمطار بقدر كاف فذبلت
المزروعات واحترقت من شدة الحرارة ، ثم بسط الجوع ساطانه على
السكان ، وهذا مضافاً إليه اضطراب الأمن وسيادة الخراب وهما الشيطان
الذي أصابا الانسان والحيوان إصابة بالغة من جراء الحروب الدائمة
والتطاحنات السياسية والأزمات المحلية في روسيا .

ولكن الأراضي القرمية ، بصفتها شبه جزيرة في وسط البحر ،
ليست واسعة الأرجاء كالأراضي الأوكرانية في الشرق والشمال
ولمما هي بفضل أنهرها وبما حولها من البحرين الأسود وآزاق
والبحيرات وبفضل ريها وطقس سهولها وتأثير جبالها وشواطئها
حديقة ممتازة تحفظ في العادة للأراضي وطوبتها ولو أن الأمطار نزلت
قليلاً مثل ما حدث في تلك السنة .

فهذه العوامل المجتمعة كفلت للجزيرة في تلك السنة بالذات ما يكفي
لشعبها البائس من المؤن والدخائر التي نبات فعلا في حداثتها وسهولها

وجبا لها. غير أن الروسيين الذين فكروا في جميع أنواع الأسلحة لاستعمالها في تحطيم مقاومة الأمة لجأوا هذه المرة لحيلة تجويع أهل البلاد، وهي من أشد أنواع الأسلحة الفتاكة التي فاقت في قوتها قذبة هيروشيما الذرية والتي امتازت بها الشيوعية طيلة ظلمها على الشعوب البائسة في الاتحاد السوفيتي، فنقلوا من القرم كفايتها من الأرزاق إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية السكان ما يتعيشون به، ولو كان في استطاعتهم نقل أسماك البحر التي استعان بها القرميون كثيراً في فترة الجوع لما ترددوا في عمله لحظة. إن سياسة التجويع في الاتحاد السوفيتي، كما ترونها فيما بعد، نكبة يرتعش لسماعها الشعب ويفقد أمامها توازنه تماماً.

أيها القارئ الكريم ! انصب من روحك رقيقاً يطالع من بُعد زوجك التي وصل بها اليأس إلى درجة أن يدها تمتد بالجناية إلى وليدها الذي يتضور المأمن شدة الجوع ويتلوى أمامها فتقتله، وبعد التهامها إياه، تركن عظامه في ركن لتبكيه وتدمع عينها دماً لمصيرها المحتوم ؟! . فماذا كنت تعمل أنت بالذات إن أحسست بما كانت تحسه هذه الأم المسكينة أو كنت فعلاً من ضحايا الجوع ؟! هل من أم تقتل طفلها لتغذي على لحمه ؟! نعم حدث كل ذلك في القرم لهول المجاعة، ولأنه كانت أهوال غير غريبة بالنسبة لمن فتك بهم الجوع في هذه البلاد التي لم يفهم الكثيرون في العالم آلامها حتى في أوجها وأشد محنها ! . فن ضحايا الجوع رجال أنقذوا ولا يزالون اليوم على قيد الحياة في مصر وغيرها، وشاهدوا هذه الأهوال

بهيون تسكب اليوم جفونها دموعاً ساخنة لذكرها .
هذه هي الحالة ، وبم لا ترضى نفس الانسان بعد وصولها إلى هذه
الدرجة من البؤس والفاقة ؟ !

عصفت عواصف هذه المجاعة التي أثارها الروس في القرم عمداً مع
سبق الاصرار في سنة ١٩٢١ الداخلة في ١٩٢٢ ، ونشرت جريدة ازفستيا
في نسختها الصادرة يوم ١٥ يولية ١٩٢٢ تقرير كالينين الذي زار القرم
في محنتها حيث قال : « بلغ في يناير عدد الذين أصابتهم حمى الجوع ثمانية
واثنين ألف مات منهم ١٤١٣ شخصاً ، وأما في شهر مارس فارتفع عددهم
إلى ثمانية وتسعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٩٩٠٢ شخصاً ، وبلغ
في شهر ابريل ثمانية وسبعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٢٧٥٤ شخصاً
وفي شهر يونية بلغ ثمانية واثنين وتسعين ألف واثنين وسبعين شخصاً » .
وجاء في أقواله أيضاً إن أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي
يستغرب لها أو يبدو عجيباً في بابها . كانت المجاعة في القرم في سنة ١٩٢١ —
١٩٢٢ ، كما تكلمت عنها جريدة « برافدا » في نسختها الصادرة بتاريخ
٨ سبتمبر ١٩٢٨ ، تشبه في شدتها مجاعة حوض فولغا .

وأثبتت اللجان المشرفة على إسعاف منكوبي القرم في محنتهم إصابة
١٠٪ من البالغين المتوحشين . وحدث أن مات سكين بهض المدف
والقرى بنسبة ٥٠٪ وجاء في كتاب « بوتون قریم » الذي نشر في القرم
عام ١٩٢١ ما يفيد أن القرم أضاعت في هذه الكارثة ٢١٪ من سكانها

أى بمقدار ١٥٠.٠٠٠ شخص، وذلك على لسان العالم الروسي فولوغدين، هجر منهم إلى الخارج خمسون ألف شخص إنقاذاً لأرواحهم، ومات الباقي من هول المجاعة وشدة الكارثة. لهذا السبب خفضت نسبة سكان المدن إلى ٢٤.٦٪ ونسبة سكان القرى إلى ١٨٪. وذكر فولوغدين أعداداً جدمهمة بخصوص تناقص الأهالي في المدن وقال: —

٥٥٪	ان نسبة السكان التي فقدتها مدينة باغجه سراي		
٤٨٪	قاراصوبازار	»	»
٤٣٪	كوزلوه	»	»
٤١٪	أسكي قریم	»	»
٣٦٪	كفه	»	»
٢٩٪	يالتا	»	»
٢٨٪	كرتش	»	»
١٣٪	آفسجد	»	»
١١٪	آقيار	»	»

يرى المرء في هذه المعلومات الاحصائية الواردة في المصادر الشيوعية الرسمية أن عدد السكان في آقيار خفض بنسبة ١١٪. بينما في باغجه سراي وهي مدينة إسلامية محضة خفض بنسبة ٥٥٪. ولو لمعن النظر في كون هاتين المدينتين موصولتين بسكة الحديد، وفي أن المسافة التي تفصل بينهما لا تزيد في الواقع على ساعتين، ولو نلاحظ أيضاً زيادة نسبة الموتى الذين

فتلك بهم الجوع في المدن التي تألفت أغليتها من المسلمين نجد أن هذه الأعداد تكشف لنا عن أسرار سوف تشكو الانسانية إلى خالقها هذه الفظائع وتلك الجنايات التي ارتكبتها موسكو لتفرض من ورائها الجوع المصطنع في سبيل القضاء على القرم . ولاني أترك للقارئ الكريم تصور الحالة التي وصلت إليها البلاد بعد هذه الفظائع المنكرة المؤلمة التي تقشع من ذكرها الابدان وتذوب لها القلوب أسي ورحمة .

كانت أنواع الحلى والنقود الذهبية والجواهر وما إليها من أشياء ثمينة توجد بوفرة حتى عند العائلات الفقيرة كزينة تزين بها نساء الأتراك وهي من عاداتهن . وزيادة على ذلك ، رغم عرض المسلمين للبيع ثروتهم الطائلة التي تراكت لديهم من عصور وعلى الرغم من المساعي التي بذلوها في سبيل إنقاذ أرواحهم من مخالب الجوع فإن نسبة ضحاياهم كانت تفوق نسبة غيرهم ممن اندس فيهم . وهناك نقطة أخرى وهي أن الأتراك عند ما رأوا إتجار الروس الفاحش معهم ، إذ أن الروس كانوا يقدمون إليهم طعاماً قليلاً جداً مقابل الأثمان الباهظة الخارجة عن حد المعقول ، ذهبوا إلى اوكرانيا وابتاعوا لهم المؤن اللازمة لصد رمق الجوع ، وعادوا بها في طريقهم إلى القرم ، ولكن الإدارة الشيوعية صادرت هذه الأرزاق قبل وصول القافلة إلى البلاد .

أيها القراء ! إعلموا أن الانسان ليمجز عن تصوير سلوك البلاشفة وسوء معاملتهم لأهل البلاد ، ويالجح عليّ ضميري أن أذكر للقراء الحادثة

الألمة التالية للمرة الأخرى وهى مثل من الأمثلة الكثيرة التى لا حصر لها .
 كان حوض تساريتسين يعنى ستالينغراد اليوم تقدم إلى الصليب الأحمر
 الايطالي طالباً إسعاف المصابين فيه بالجوع . وبهذه المناسبة كرو
 الايطاليون طلبهم ، وألحوا على البلاشفة فى السماح لهم بمد يد المساعدة
 الانسانية على القرم أيضاً . ولكن طلبهم هذا رُفِض كل مرة رفضاً باتاً
 كما سبق أن صرح البابا بذلك لحضرة صاحب المعالي جعفر بك سيد أحمد
 حين قابله فى فاتيككان .

استقر البلاشفة فى القرم ، ولم يأمنوا جانب الاتراك المسامين ، فأتوا
 إلى رئاسة الجمهورية بشيوعى مجرى يدعى بلاكون ، ولكن ما لبثوا أن
 احتاطوا ، فأحلوا محله عام ١٩٢٢ ولى إبراهيم القرمى الذى راح يحاول
 إقناع الروس بوجوب التخلي عن سياسة العنف وعدم مساس كرامة القرم
 باسكان اليهود وغيرهم فيها ، وظل يجادل رئيساً لغاية ١٩٢٧ تلك السنة التى
 ثار على الحزب الشيوعى لسياسته الجارحة لكرامة الجمهورية القرمية ،
 واستعمل فى خطابه السرية التى جرت بينه وبين الكرملين لهجة شديدة
 وحججا كاتمة للاتقاس ، فقبض عليه مع رجال حكومته وأمنائه ،
 وطار بهم « تشيككا » فى طائرة مسلحة خاصة إلى موسكو حيث أعدموا .
 وبذلك عاد الارهاب من جديد ، وتفذ ستالين ما أراده من إسكان خمسة
 وثلاثين ألف يهودي فى أراضى أوقاف القرم بمنطقة جانكوى ليستغلوا
 فيها بالزراعة ؟! وقال ولى إبراهيم بسخرية لجلاديه قبل إعدامه : « نعم

إنى عارف أن الدب حين ينوى اقتراس ولده يمرغه فى الطين كى يتجاهل أنه ابنه .

كان ولا زال من سياسة المكتب الشيوعى الباشقى الاتيان الى المناصب المختلفة ببعض من يريد القضاء عليهم آجلا أو عاجلا ، فأتى من بعده إلى الرئاسة محمد قوباي ليقضى عليه عام ١٩٣٠ شر القضاء ، وعلى هذا المنوال كانت المسألة تتكرر فى فلك العالم السوفييتى و « الجنة الشيوعية » واحدة تلو الاخرى ، مع العلم أن كل حركة اضطهادية من جانب المنظمات الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى كانت تزيد من حقد المواطنين على موسكو ، لان الشعب لم يكن يطيق حكما يناهض وطنيتهم وعلى الاخص ديانتهم ويذهب بأرواحهم لأقل تهمة يلصقها لهم الروس أو جواسيسهم زورا وبهتانا . وعلى الرغم من الحصار الفولاذى الشيوعى كان الشعب يحاول مقاومة الاضطهاد ، ويقوم بعملياته فى سكون بدون كلام ويتفانى فى سبيل مساعدة الأبطال ، وينتظر الفرصة السانحة لقلب النظام والتحرر حتى يبنى مجد الوطن بيده . وليس فى القرم أدل شاهد على ذلك من حادثة « ألا كات » التى وقعت عام ١٩٢٩ وذهبت كضحية ارواح آلاف مؤلفة من الشبان بسبب خيانة لعبت دورها فى صفوفهم وانكشف أمرهم للمكتب السياسى الذى استطاع بواسطة من وقع فى شبا كههم أن يصل إلى مواطن الامور تارة بالتهديد والوعيد وطورا بمعسول الكلام والوعود . وتفصيل الحادث أنه حدث فى السنة المذكورة أن وجد الشعب

أمامه فرصة التسليح ، واقنع بعض نوابه ووكلائه بوجود الاسلحة اللازمة للثورة، وبدأوا خفية في تسجيل أسماء المتطوعين ضد الشيوعيين ، فقيدهم من قيد وامتنع من امتنع من التسجيل لخوفهم من عيون الكرمليين . فجاءهم أمر الجهاد والتجمع في منتصف ليلة اتفقوا عليها بمكان اسمه « ألاكات » حيث الاسلحة والتجهيزات الحربية المزعومة ، وقد لبى الدعوة كثير من الشبان ، فتجهمروا فيه في جنح الليل ليرفعوا منه علم الثورة لتحرير القرم في وقت قيل لهم إن الثورات في كل منطقة من مناطق الاتحاد السوفيتي ستشعل ناراها ، وسوف تجدموسكو نفسها أمام ثورات الشعوب المستعبدة متجمعة . وبينما هم متجمعون فاذا برجال المكتب الشيوعي البلشفي يلعبون دورهم في مصائر أولئك الوطنيين الذين حوصروا من كل جانب بالقوات المسلحة الروسية الحمراء ، ولم يفلت من يدها أحد إلا واستشهد أو قتل أو نفي ، فبقيت القرم تبكي حظها السيئ ، وأخذ عزرائيل يجوب أنحاء البلاد مدة سنة كاملة باسطاً سلطانه الخيف عليها لاقتفاء آثار مؤيدي الحركة . وإبان هذا الارهاب بدأت في القرم سياسة قوخلوز وجعلوا الاشتراك فيه في مبدأ الامر إختيارياً ، ثم ما لبثوا أن ضيقوا الخناق على من لم ينضم ، فاضطر من تخلف عن الاشتراك أن يضم صوته إلى من اشترك راجعاً ذلك على عواقب مجهولة . ولعب المكتب السياسي دوره في تشجيع بعض المراكز القليلة لتكون هذه قدوة حسنة للمراكز الاخرى . وأول مركز أصيب بدعاية المكتب وتشجيعه عام ١٩٢٨ كان

آلوشتا وهي مدينة صغيرة يسكنها ١٣٠٠٠ نسمة وتقع على الساحل
القرمي الجنوبي، فاشتركت منها ثمان وعشرون أسرة فقيرة في قوخلوز
أسموه «شانلي آرتل».

مضت على هذه الحالة سنة وعواصف الارهاب ملتبة نارها، فأصدر
الكرملين أمره النهائي بالحاق الشعب بأسره إلى قوخلوز على شرط أن
تقيد لجنة المشرين الحكومية رأس مال الملتحق قبل تجريد مالكة منه. وقد
كان من السخرية بمكان أن يقيد المشرن الحكومي كل شيء بربع قيمته أو
أقل منه مع العلم أن لا أحد قبض الثمن عاجلاً أو آجلاً. وبذلك تم إلحاق
القسم الأكبر من الشعب بقوخلوز أو كوؤبراتيف، وتختلف قسم آخر دون
الاتحاق بهما مهما نددهم الموظفون وأنذروهم بسوء العواقب. ولكنهم
ظلوا يرفضون ما طلبته إليهم الحكومة رسماً واضعين مصيرهم بين يدي الله
متكئين عليه سبحانه وتعالى.

وإزاء تدمير الجميع أعلنت الحكومة أمراً جديداً في سنة ١٩٣٠ تاركة
للمزارعين الخيار بين الاتحاق بقوخلوز أو كوؤبراتيف وبين العمل
الحر، واقترحت على من يريد الانفصال من قوخلوز أو كوؤبراتيف
أو على من رفض من أول الأمر الاشتراك في أحدهما منظمة «طوفاريشت
توا» حيث يعمل المزارعون أحراراً في نطاق جماعة أخرى خاصة على شرط
ألا يكون لهم الحق في بيع محاصيلهم لغير رجال الحكومة الذين يشنونها
كما يشاءون، لا كما يقدرها الفلاحون أو الصانعون الذين احترقت في

سبيل اتاجها دماؤهم . رجح الالهالى هذا الاقتراح على خطورته السياسية وشجعوه نخرج من قوخلوز نصف الملتحقين للانضمام إلى المنظمة الجديدة رغم تخوفهم من أن تكون هذه العملية شباكا أخرى ألقاها المكتب السياسى لتصفية المعارضين للنظام الشيوعى . أما ذلك من حسن الحظ فلم يحدث ، ولكن موسكو أدركت ما فاتها ، فقرضت على كل من ترك قوخلوز سياسة ضرائب تجبرهم على العودة إليه من تلقاء أنفسهم ، فعادوا جميعاً إلى حظيرة قوخلوز بعد أن وجدوا أنفسهم أمام ضرائب تصاعدية فادحة يئس بسببها الناس من العمل الحر . وبعد مدة قليلة بدأت موسكو في تصفية من تخشى جانبهم لاحتمال كونهم نواة لثورة أو اضطراب أمن سوفيتى ، وتسهيلاً للعملية أظهر الشيوعيون قائمتهم المعدة من قبل سراً حيث قسموا الشعب إلى درجات خمس :

- القسم الاول : طبقة المساكين
- والقسم الثانى : طبقة الفقراء
- والقسم الثالث : طبقة متوسطي الحال
- والقسم الرابع : طبقة الاغنياء
- والقسم الخامس : طبقة الملاك الكبار

بدأ البلاشفة في القضاء على هذه الطبقة الخامسة فعلا عقب الثورة فنهبوا أصحابها وسلبوهم ، ثم مثلوا بهم أشنع تمثيل ، وجاء من بعدهم دور الطبقة الرابعة التى رفضت الانحاق إلى المنظمات الشيوعية المذكورة .

آتفاً، ولذلك صودرت أملاكها ونفى من بقى من أهلها إلى سيبيريا أو ألقى بهم إلى غياهب السجون مع حرمانهم وحرمان أفراد أسرهم من حقوق البلاد المدنية والسياسية بمعنى أنهم يظلون في بلادهم مشردين لا حق لهم في الانتساب إلى الحزب الشيوعي، ولا في العمل بالمزارع، ولا في الدراسة أو التدريس، فمصائرهم كانت تذهب حتماً إما إلى الموت أو الهروب إلى ركن من أركان الاتحاد السوفيتي لو فشلوا في الالتجاء إلى إحدى الدول المجاورة للاتحاد (١).

وجاء دور محمد قوباي الذي أصبح رئيس جمهورية القرم عام ١٩٢٧ بعد إعدام رئيسها السابق بحيث قتل هو الآخر عام ١٩٣٠، وظلت سياسة التصفية تسير في البلاد والحياة القرمية تحتاج عواصف من اليأس. وكان هذا التاريخ في الجحيم السوفيتي يعتبر عهد انتقال من عهد الرخاء — على علاقته — إلى عهد مجهول دامس الظلام زاد فيه الفقر كلما دفعت به عقارب الزمن إلى الأمام. أقول عهد الرخاء على علاقته لأن المرء في ذلك العهد وما قبله كان يشبع على الأقل نفسه بانتاجه البسيط ويكسب بعرق جبينه ما يعول به أسرته حتى أثناء الاضطرابات السياسية القائمة في عرض البلاد ووطولها.

(١) المالك الهارب في الاتحاد السوفيتي الذي يتمكن من مغادرة أراضي الجمهورية دون الوقوع في شباك البوليس والالتجاء إلى إحدى الجمهوريات السوفيتية الأخرى لا يقتضي المكتتب السياسي أثره عامة ولو أنه يعرف المكان الذي يعيش فيه، فينجو الهارب بذلك من النفي إلى سيبيريا. وتفسير ذلك أن البوليس السياسي في كل جمهورية عالم بأنه ظالم الشعب المسئول أمام موسكو في نطاق سلطته داخل الجمهورية التي يشرف عليها.

إنهت سياسة الحكومة المحلية إلى تعميم النظم الشيوعية في الصناعة والزراعة والتجارة بأمر صدر إليها من موسكو ، وبدأ الحزب الشيوعي يشرف بنفسه على سير العمل فيها مع إقامة جماعة أو جماعات في كل قرية أو مدينة تبعاً لجوها الطبيعي والسياسي ، وبذلك تم إنشاء ثلاث جماعات مختلفة : الأولى : كووپراتيف وهو جمعية تعاونية يعمل فيها أصحاب المهن والحرف . الثانية : قوخلوز وهو منظمة زراعية تضامنية تكونت من رؤوس أموال إستولى عليها رجال الحكومة من الزراع والفلاحين حسب قائمة تميمين إختفت على يد البلاشفة ثم ضاعت مع ضياعها الحقوق . الثالثة : صونفوز وهو منظمة زراعية تكونت من أراضٍ اعتبرتها الدولة من حقها . ولم تدخل هذه الأراضى في قائمة التميمين المذكورة أعلاه ، ويعمل فيها من يغادر منظمة قوخلوز لسبب أو لغيره وتكون مرتبات العمال فيها نافية بالنسبة لمرتبات رفقاءهم في قوخلوز .

وفي نطاق كل من قوخلوز وصونفوز وكووپراتيف أنشئت مدارس للأطفال ، ودور السينما ، وبعض المستشفيات على شرط أن يتحمل العامل مصاريفها بطرق يحاول تبرئها الشيوعيون الذين يعلنون للعالم أن كل شيء في روسيا مجانياً على حين أنهم لا يطبقون فيها مبدأ كما يطبقون مبدأ « من لا يعمل لا يأكل » بمعنى أنك عامل والكرملين آكل ^(١) . وهذه المصاريف هي عدا ما يقطع من مرتبه للتبرع الاجبارى الذى يوازى مرتبه في الشهر

الواحد ، وعدا التوفير في صندوق الادخار الذي ينتهي في آخر كل ثلاث أو أربع سنوات بالتنازل الاختياري نظرياً والاجباري فعلياً للحكومة الشيوعية ، وعدا ما يدفعه للصليب الأحمر ، ولجمعيات الملحدين ، وللإبطال الشيوعيين ، وما إلى ذلك من ضرائب فادحة تدفع العامل دفماً إلى الاستقرار من الدولة على حساب أعماله اليومية التي سيؤديها في السنة المقبلة . وبذلك يكون العامل قد تعهد أمام الحكومة وارتبط معها على أن يخدمها بلامقابل في المستقبل ، فتتكرر العملية سنة بعد سنة وهو ماض في استقرار ما يسد رمقه من خزانة الدولة دون أن ينعم بما ينتجه لها من المحصول بوفرة .

كل فرد في الأسرة مجبور على تنفيذ عمل يطلب إليه مهما كانت طبيعته وليس له فيه الخيار في أغلب الأحيان ، ومدة العمل ثمانى ساعات نظرياً ولكنها وصلت في السنين الأخيرة إلى ما يزيد على ١٢ ساعة . ولتصوير الحالة نضرب مثلاً بقوخلوزين في قرية «جمعه علي» بالقرم . فهذه القرية جميلة كان يسكنها ١٥٠٠ شخص ، لها عماراتها ، وحيواناتها ، وآلاتها المختلفة وأراضيها ، ومدارسها . وبعد إقامة النظام الشيوعي وتطبيقه فيها استخرجت الإدارة الشيوعية ، على أساس قانون سنته موسكو عام ١٩٣٣ بطاقة شخصية لكل من يسكن القرية مع الاعلان أنه عضو في قوخلوز ، ولا يجوز له الانتقال من قرية أو من مدينة إلى أخرى إلا بحواز خاص من السلطات الشيوعية المحلية . وتلك الإدارة كذا العدد من الأشخاص

للمعمل بالزراع في الجهة الفلانية المعينة ، وكذا العدد منهم في منطقة أخرى ،
ويباشر من وكل إليهم الأمر تعيين مقدار العمل المطلوب من كل فرد كان
رجلاً أو امرأة مع العلم أن هذا التعيين مقدر على أوسع حدود استقلال
الطاقة الفردية . وفي آخر النهار يرجع العامل إلى مركز الإدارة حتى يسجل
له الكاتب المختص ما أداه من العمل ، فإن انتهى من أدائه قيد له يوميته كاملة
ولما قيدها ناقصة أو قيد عليه إن لم يقتنع الرئيس بعذر المعتذر .
وأما أصحاب المهن من أسرة القرية فيكلفون بما يتناسب وطبيعة مهنتهم
وحرهم ، فيقومون باصلاح الماكينات ولوازم الخيول وتجهيزها ، والاعتناء
بالأبقار والغنم ، وتصميم الأبنية وبناء المخازن ، ونقل الحبوب والآلات
وغيرها ، وتدرّس الأطفال ، وتنشئة التلاميذ بالروح الشيوعية (١) .

والأحداث الذين هم في سن الدراسة لكل منهم كميته من الخبز وقدرها
٢٠٠ غرام ، وأما الرضع فتشرف عليهم مؤسسة تستلمهم من أمهاتهم صباحاً
لتردهم إليهن في آخر النهار بعد أن أدت الأم ما عليها من وظيفة العمل .

وقليلاً ما تعطي الإدارة الشيوعية شقة من حجرتين لتسكنها أسرة

(١) استطاع الشيوعيون السيطرة على الموقف في روسيا ولو أن تعداد حزبهم
لم يزد على مليوني عضو لغاية ١٩٤٣ وقد ضاعفوه اليوم فبلغ أربعة ملايين وستمائة
ألف شيوعي . والحزب على قوته في أساليبه الابليسية يخشى ثورة السوفييت التي
ظهرت في الاتحاد مرات . ولذلك سعى الكرملين إلى جلب عاطفة المدرسين أيضاً كعنصر
من عناصر العلاج الوقائي الشيوعي بدفعهم مرتبات كبيرة بالنسبة للحالة العامة في روسيا
ليفلح في غرس الشيوعية وتعاليمها في أذهان النشء الحديث الذي أصبح فيما بعد رأس
مال الشيوعية العالمية .

من ستة أو ثمانية أفراد، وهي عارية عن كل زينة بل عن ضروريات الأثاث أيضاً. ولو تخلف الزوجان أو أحدهما عن العمل أو جاءهما زائر قريب أو غريب تيقن أهل الشقة أو المنزل أن أحداً من بينهم سوف ينام جائعاً، إذ أن ٦٠٠ غرام من الخبز الذي يستحقه كل شخص عامل في الأسرة يجب أن يؤمن حياته لمدة ٢٤ ساعة على أى حال. هذه هي الكمية التي ينالها العامل السوفييتي الكادح مقابل عمله اليومي المضي. وما آلم الحياة وأمرها حين لا يجد المرء ما يشبعه من الخبز أو الطعام مقابل عمله الذي يمتص منه دمه. لا شك في أن ذهن المستطلع يتبادر أيضاً إلى الملابس التي يتلفها العامل في عمله وهي من ضروريات الحاجيات، فيتساءل عن مصدرها ومصدر الخبز والطريقة التي يسلكها في سبيل تحصيل المطلوب؟ ١.

هذا تساؤل حق تتضمن إجابته سر ضعف مقاومة الملايين أمام الحزب الشيوعي القليل العدد ومكاتبه السياسية. سبق أن ذكرت عندما أوردت قرية «جمعه علي» مثالا أن كل شخص في قونخوز مكلف بأن يؤدي مقدار عمل يعينه له وكيل من وكلاء الإدارة الشيوعية. ولو أتم العامل المكلف ما كلف به — مع ملاحظة أن نسبة ٩٠٪ من عمال المنظمات لا يستطيعون إنهاء ما كلفوا به — قيد له الكاتب المختص في دفتر السجلات يومية كاملة. ومجموع اليوميات في قونخوز ثلثمائة يوم سنوياً. فعلى هذا الاعتبار لو أنه استمر في عمله ثلثمائة يوم دون التخلف، ولا التأخر، نودي اسمه يوم الحساب الذي يعقد عادة في أوائل السنة وأحياناً في منتصفها

بمركز الادارة حيث يتلو عليه الرئيس أمام الجمهور ما في القامتين إحداها له والاخرى عليه . وبناء على الاحصاء الشيوعى الرسمى عام ١٩٤٧ لا يزيد أجر العامل المتوسط فى الاتحاد السوفيتى عن ٥٠٠ روبل شهريا (١) . فيكون له على هذا الأساس بطرف الحكومة ستة آلاف روبل فى المجموع . ثم يواصل الرئيس كلامه بتلاوة ما على العامل للحكومة فيقول إن مرتب الشهر الأول تبرع منك لخزينة الدولة ، ومرتب الشهر الثانى لليانصيب الحكومى والادخار ، وكذا من المبلغ لمصاريف الأبناء فى المدرسة وتمن الحبوب المصروفة لك ولهم ، وكذا من المبالغ للخيالة ، سواء ذهبت إليها أو لم تذهب ، وكذا لجمعية الملحدين ، وكذا للصليب الأحمر ، وكذا للأبطال الشيوعيين وكذا مقابل اللحم المطلوب (٢) وهم جرا إلى أن يساخه تماماً ولا يترك له على

(١) جريدة دى رافدا ، الروسية ١٥ - ١ - ١٩٤٧

(٢) كل عامل مكلف بأن يقدم إلى الحكومة ثلاثة وثلاثين كيلو من اللحم أو قيمته يوم تصفية حسابه السنوى وذلك ضريبة من جملة ضرائب الدولة الشيوعية التى تمنع الشعب السوفيتى من حق الامتلاك ثم تعامل أفرادهم كأئهم ملاك .

نعم ، سمح الدستور السوفيتى منذ تعديله البسيط عام ١٩٣٦ لاسرة واحدة بحق امتلاك بضع فراخ وثلاث غنم وبقرة على أن يقدم مالكمها للحكومة عن الفراح بيضها ، وعن الغنم حملاتها وأصوافها ونصف كميات لبنها ، وعن البقرة عجلها وثلثي لبنها مع العلم أنه ليس بين سكان الاتحاد كله نسبة ٥ فى المائة ممن له القدرة على امتلاك الطيور أو الحيوانات المذكورة . ثم أن هذه الضريبة كانت سارية المفعول قبل تعديل الدستور سنة ١٩٣٦ . إذأ فاما معنى مطالبة كل عامل سوفيتى معذب بهذه الكمية من اللحم الذى لم ير هو حتى النصف الكيلو منه طول السنة ، سوى أن الدولة الشيوعية البلشفية تعتمد استغلال الشعوب وامتصاص دمايتها بالقوة البوليسية ١٩

الحكومة سوى ربع إرادته على أكثر التقدير ، وأخيراً يأمر الرئيس وكلاءه بصرفه كذا كيلو من القمح والشعير والذرة بحيث تكفي له هذه المئونة مدة سنة على اعتبار ستمائة غرام يومياً ، ثم يخصم ثمن هذه الأرزاق من المبلغ الموجود له بطرف الحكومة ، فيصرف له استحقاقه إن تبقى هناك شيء من مجموع مرتبه بعد خصم الضرائب المذكورة حتى يشتري به ضرورياته من الدكان الحكومي ، وشراؤها منه في الاتحاد يعد معجزة .

هذا الحساب بعينه يجري مع زوجته إن كان متزوجاً ، وأما من لم يستطع أداء عمله كما طلب إليه فيحسب له مائتان أو مائة وخمسون أو مائة يومية أو أقل منها حسب تقدير الموظف السوفييتي الشيوعي . وكيف إذن لهذا البائس المسكين أن يعيش ، أو يستمر في ثورته ، أو يستقيم في حياته ؟ ! ففي مثل هذه الأحوال ، وما أكثرها ، ينصح له رجال الإدارة بالاستقرار من الدولة مبلغاً من المال كي يستطيع الاتفاق على نفسه . وبذلك يرتبط مع الحكومة في السنة الجارية ، متحملاً المسؤولية كلها ، ليؤدي لها عملاً عينياً وبلا مقابل في السنة المقبلة . ولو بحثنا سجلات قوخلوزمن قوخلوزات الاتحاد السوفييتي لانجد فيه عضواً من أعضائه إلا وقد اضطر إلى الاستقرار من الدولة ، وتصل نسبة هؤلاء إلى ٩٠٪ أو أكثر لأنهم عجزوا كذا كرت عن القيام بما طلب إليهم ظاهراً ، ولم يستطيعوا أن يستقيموا بأي حال ، فلمنوا النظام الشيوعي السائد ليجدوا من بعده أنفسهم يتعذبون بين زبانية سبيريا أو جبال اورال ، وللمكتب السياسي الشيوعي جيش خاص تنظيمه دقيق لا

لا يتصوره العقل وله سلطان واسع لا حد له ، فيكفي من جانبه لقمع حركة أن يؤثر رجاله على البطاقات تأشيرة تحرم أصحابها من الحبوب أو من سلفة الدولة لهم

يقول وليام بوليت سفير الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق في موسكو ، والذي استدعاه ترومان لأخذ رأيه في تحديد موقف أمريكا إزاء سياسة العنف السوفييتي الآخذ في الازدياد ما مضمونه (١) : « إن التشكيلات البوليسية السرية التي سماها القياصرة «اوخرانا» ، ولينين «تشيك» وستالين «اوغبو» و «أنكافيدى» منشأها مكاتب ايفان السياسية التي كان يسميها «اوپريشينا» . ولأنكافيدى جيش سرى خاص مجهز بأحدث الأسلحة الممتازة يخضع لسلطانة حتى الجيش الأحمر ، وبلغ تعدادة قبل ١٩٣٧ مائتين وخمسين ألف وبعده ستمائة ألف جندي فدائي ، وله ميزانية يفوق قدرها ثلاثة مليار روبل . و يضيف بوليت إلى قوله هذا أساليب أنكافيدى الشيطانية في كيفية مراقبة المفاوضات والقنصليات الأجنبية للحد من نشاط رجالها في أرض الاتحاد السوفييتي .

حار الشعب في هذا الموضوع تماماً ، وكثيراً ما تكون الحيرة منشأ الابتسامة والنكت ، فكان أفراد الشعب يقولون نكتنا لاذعة تبين مدى سخطهم على الدولة وثورة نفسياتهم ضد النظام السائد في البلاد . وإليك على سبيل المثال ثلاث نكت عرفت عن أهالي أوزنباش الذين عارضوا

(١) «مصور العالم» ، ص ٦٤ - ٦٥ ، المطبوع في باريس عام ١٩٤٨

فكرة قوخلوز ورفضوا تسليم الخيول والآلات إلى الشيوعيين :
وجد أحدهم في حقل من حقول قوخلوز فرساً نحيلة الجسم ، هزيلة
القوائم ، تسكد تسقط من شدة الضعف ، فكتب بخطه الجميل لافتة علقها
على ظهرها ليلا حيث جاءت على لسان الفرس : « نعم ، سأموت جوعاً
ولكنني لن أتحق بقوخلوز » .

وضعت الحكومة السوفيتية ضريبة حتى على الفرخة الواحدة وكلفت
مالكها بأن يقدم إليها مائة بيضة سنوياً فعلق أحد الناس لافتة في عنق فرخة
ميتة شدها إلى شجرة في الطريق العام وكتب عليها على لسان الفرخة :
« إنى فضلت الانتحار على الاتيان بمائة بيضة كما طلبتها منى الحكومة مع علمها
بأنى غير قادرة على ذلك » .

وكتب آخر لافتة أخرى علقها على ظهر كلب أخذ يعدو في الطريق
العام فجاء فيها على لسان الكلب : « إنى ذاهب إلى إدارة قوخلوز لتقديم
لمى عن سيدى الذى ليست له النعم وطلبت منه الحكومة أن يقدم إليها
سنوياً ٣٣ كيلو من اللحم » .

ستمائة غرام من الخبز لكل عامل ! الأمر الذى يكاد لا يصدق عقل من
عاش في الرخاء بعيداً عن الاتحاد السوفيتى ، أو من لم يدرس حالة روسيا
دراسة وافية . سبق أن ذكرت على سبيل المثال حالة قوخلوز في قرية « جمعه علي »
الواقعة في ضاحية من ضواحي مدينة أسكي قريم . لهذه القرية أراض زراعية
ينتج منها سكانها البالغ عددهم ألف وخمسمائة نفس ما يزيد على ألف طن سنوياً

على المتوسط ، بينما لا تنال القرية من إنتاجها سوى ثلثمائة وخمسين طناً وأربعمائة كيلو غرام من الحبوب على الترتيب الآتى :

العدد	سكان القرية	كيلو	طن
-------	-------------	------	----

١٠٠٠	عامل ، وصانع ، وموظف يخصهم فى الجملة	٥٠٠	٢٥٥
------	--------------------------------------	-----	-----

٥٠٠ و ٢٥٥ كيلو من الحبوب بنسبة ٧٠٠

غرام لكل نفر فى اليوم وينقص هذا المقدار

إلى ستمائة غرام أو أقل منه بعد الطحن .

٤٠٠	بين أطفال وتلاميذ يخصهم فى الجملة	٥٠٠	٣٦
-----	-----------------------------------	-----	----

٥٠٠ و ٣٦ كيلو من الحبوب بنسبة مائتين

وخمسين غراماً لكل نفر فى اليوم وينقص

هذا المقدار إلى مائتى غرام أو أقل منه بعد الطحن .

١٠٠	نفر بلغوا سن الكبر ويخصهم فى الجملة	٠٠٠	١٣
-----	-------------------------------------	-----	----

٠٠٠ و ١٣ كيلو من الحبوب بنسبة ثلثمائة

وخمسين غراماً لكل عجوز فى اليوم وينقص

هذا المقدار إلى ثلثمائة غرام أو أقل منه بعد الطحن .

٣٠٥٠٠٠

١٥٠٠

يعنى ينال سكان القرية من مجموع إنتاجهم الذى يزيد على ألفى طن

سنوياً كمية قدرها ثلثمائة طن وخمسة أطنان فقط على شرط أن تكفيهم هذه

المؤنة لمدة عام كامل .

وأين الباقي؟ ١ يؤول الباقي إلى خزينة الدولة التي تنفق عن بذخ في خارج الاتحاد السوفييتي لتدعيم الكومنفورم، بينما تمتص في الداخل دماء القرميين والشعوب المستعبدة الأخرى لتعظم مقاومتها وتسيطر على أهلها بهذه الطريقة المنكرة وتجبرهم على مد أعناقهم من تلقاء أنفسهم إلى المقاصل الشيوعية آجلا أو عاجلا. هذه هي كمية الخبز التي تصرف لكل شخص في روسيا مع خصم قيمتها من مرتبه الذي سلف عرضه في صحيفة ٧٩ ودعنا الآن نذكر قوة شراء العملة الروسية ومستوى العامل السوفييتي بمرتبه الضئيل التافه حتى يعرف القراء الفاقهة والبؤس الذين يسمح فيها المواطن السوفييتي

المقدار	نوع الشيء	قيمه بالروبل	قيمه بالزمن ق ت
كيلو	الخبز الأسمر	٧	٥٥ ٢
كيلو	اللحم البقري	٣٠	٣٠ ١٢
كيلو	المكرونه	١٠	١٠ ٤
كيلو	السكر	١٥	١٥ ٦
كيلو	السمن	٦٤	٤٠ ٢٦
كيلو	الشاي المحلى	١٦٠	٤٠ ٦٦
كيلو	البن	٧٥	١٥ ٣١
كيلو	الصابون	٤٠	٤٠ ١٦
عشر بيضات		١٦	٤٠ ٦
عشرون سيجارة		٨	٢٠ ٣
حلة صوفية للعمل		١٤٠٠	٢٠ ٣٤٨
حذاء للعمل		٢٦٠	٢٠ ١٠٨
جوارب قطنى للرجال		١٧	٥ ٧
ساعة يد معدنية عادية		٩٠٠	٣٧٥ (١)

(١) «وضع العمال والقرويين في الجحيم السوفييتي، لجعفر سيد أحمد قرير، ص ١٥

وقد كان الشعب القرمى البائس يسخر من النظام على الرغم من صرامة العقاب الشيوعى ، وكثيراً منهم تقيوا إلى سيبيريا لمدة عشر سنوات لأن المتهمين تشجعوا أن يقولوا إن « البلاد فى ضيق » . ومن جملة الحوادث التى لا تحصى ، ما حدث عام ١٩٣٩ لأحد الرؤساء فى مدينة كفه والذى نفى إلى سيبيريا لمدة عشر سنوات لأنه خاطب المندوب السوفييتى الذى أوفده الحزب الشيوعى فى موسكو ليرفع إليه تقريره عن سير الأعمال فى الحكومة القرمية وعن رضا الشعب فيها من عدمه . وبعد أن أصغى الرئيس إلى كلمة المندوب نهض لقوره وخاطبه فقال : — « أيها الرفيق نحن نعمل بلا انقطاع ، ولكنكم انظروا إلى حالى وإلى ما ألبسه ، أنا كالرئيس ، من ملابس ونعال يرثى لها وهى جل ما كسبناه مدة هذه الأعمال المرهقة الماضية » وتأكيذاً لكلامه خلع نعله « البلغة » ووضعها على المكتب للمعaine . ما ذهب المندوب إلى مركز من المراكز إلا وقد وجد فيه الناس يتذرون أشد التذمر من الحالة التى أصبحت لا تطاق فى « الفردوس الشيوعى الموعود » وإذا ما واجهوه ببلاغ صوتهم مع بيان خطورة الحالة إلى موسكو أصدرت هذه أوامرها للقبض على المواطنين وإرسالهم إلى سيبيريا ليعملوا بمسكرات السخرة فيها .

جاء عام ١٩٣٤ والضغط الشيوعى ماض فى سبيله على أشده ، ولم يكن للشعب القرمى البائس إلا أن يرنو إلى الآفاق لعله يجد فيها من يرفع معه علم الثورة . فأنصل مندوبوه بمن كانوا يدبرون الثورة من الأوكرانيين

والروسين والشعوب الاسلامية الأخرى ، فبرقت عين القمر أملا في
تحررها واستقلالها ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
شم البوليس السياسى الشيوعى رائحة الحركة السرية حينئذ ، غير أنه
لم يستطع الاهتمام إلى أصحاب الفكرة وزعماء الحركة ، فحصر شبهته على
طبقة الأغنياء سابقا والذين كانوا في حينه من أعضاء الجمعيات التعاونية والزراعية .
ثم أصدرت الحكومة القرمية تصريحها بإمكانية إقامة التجارة الحكومية الشعبية
الحرّة على أن يكون التعامل فيها بالذهب . وكانت الميزة في هذا النوع من التجارة
إمكانية شراء الدقيق الاضافى الضرورى من دكاكين الدولة مع قليل من
السكر ، وبعض الأقمشة لا غير ، ما دامت القوانين الشيوعية في تحريم
الملكية الفردية نافذة المفعول . بدأت هذه التجارة بانفصال الناس عن
قوخلوز وكوؤيراتيف واستمرت إلى حين تمكن رجال البوليس من كشف
العوامض بوسائل سرية مستنكرة ، فلمكتب بعد أن استنفد كل ما في جعبته
من سهام الفتنة لجأ إلى إستغلال الابن ضد أبيه أو الابنة ضد والدتها
للكشف عن أسرار الاسرة ومن ثمة قبض على بعض الأهالى الذين أحكموا
إخفاء الذهب ولم يتصرفوا فيه إلا بدقة وحكمة حارت لهما الادارة الشيوعية .
لجأ رجال البوليس السرى إلى هذه الطريقة المنكرة في استغلال
الاولاد والاحفاد ضد أرباب الاسر بفرض تفكيك أوصال الاسرة ولتمكين
الشرذمة الشيوعية من السيطرة على الشعب . وكانت طريقهم فيه تبدأ

بإرسال رسول من قبل المكتب بعد منتصف الليل ، كما هو المتبع في أنحاء
 روسيا كلها ، إلى منزل المطلوب استغلاله أو القضاء عليه . فيطرق الرسول
 الباب بشدة تثير الرعب والدهشة بين أهل المنزل النيام وتحطم الأعصاب ،
 فما يلبث المرء أن يسمع من الداخل صوتاً يطلب التمل والشفقة والرفق ريثما
 يولع المصباح ، فيستيقظ مع الضحية أفراد الأسرة صغاراً وكباراً ليودعوه ،
 وكثيراً ما كان مثل ذلك الوداع الوداع الأخير ، ثم يصحب الرسول المسلح
 ضحيته المتحطم الأعصاب ، فيشقان في جنح الظلام الشوارع والطرق
 المظلمة دون أن يحس بهما أحد من أهل البلد . والضحية المسكين يتعصب
 طول الطريق من شدة الانفعالات النفسية العارضة له ويتألم ويصفر ثم
 يراجع ذاكرته ويضغظ عليها ليتيقن في نفسه من ألا يخونه ذهنه في ذنب
 ربما ارتكبه عن غير قصد ، ولكنه لا يجد لنفسه خطأ ارتكبه وهو في وعيه لا
 عن عمد ولا عن غيره . وعند ما يصلان إلى إدارة المكتب يأمره الرسول
 بالوقوف في ركن من أركان الردهة المرهبة بين الحراس وفلاسفة الأمن ،
 ثم يؤذن له بالمشول أمام الرئيس فيتبع الدليل حيث يتجه . وعند المقابلة لو
 بدأ الرئيس كلامه بالسخط عليه والصياح في وجهه قل وعلى المسكين
 السلام ، وإن جالسه وأبدى نصحه إليه فكان المراد من استدعائه
 الاستعلام عن مدى ما وصل إليه فيما هو مكلف به ، أو طلب إليه التعاون
 الذي تفرضه عليه واجبات الأمن مع مذاكرة أصول الشيوعية وتعاليمها له
 وما ينبغي من ورائها الحزب الشيوعي من ضمان غرسها في أرجاء الاتحاد

السوفييتي ، ثم يخرج بالكلام إلى تمرد الناس من غير معنى وبدون سبب لينهى نصحه بالوعد والوعيد معاً ، فيكلفه بخدمة المكتب في شئون الأمن التي تخص السياسة الشيوعية في المنطقة التي يعمل أو يعيش فيها ، وبعد ذلك يضع ثوان يُخرج من أحد الأدراج إقراراً ويطلب منه التوقيع عليه ويتلخص ذلك الإقرار في أن الموقع عليه يتعهد بتقديم تقرير أسبوعي أو شهري عما يجري من الحديث بين أعضاء أسرته ، وعما يدور في خلد من يتصل بهم ، وعن أفكار أعداء الشيوعية ، وعن الأشخاص الذين يملكون الذهب ، و ، و ، الخ .

وهكذا يبدأ الشيوعيون في إفساد الجو الاجتماعي ويفسدون أخلاق الشبان ، لأنهم لو امتنعوا قضى عليهم آجلاً أو عاجلاً باعتبارهم مناوئين للمذهب الشيوعي ونظامه القائم ، وإن وقعوا عليه سئلوا عن تقاريرهم ونوقشوا فيها . لذلك تجد ، أيها القارئ الكريم ، التجسس والقوضي والتنمية قد ضربت أطنابها في القرم وأرجاء روسيا كلها لا بين أفراد لا تصلهم القرابة بل الوالد والوالدة يخافان من فتنة أبنائهما عليهما أو يخشيان بعضهما بعضاً . وهكذا ذهبت فيها سلامة الأسرة بعيداً عن النظريات الإسلامية والدينية على وجه عام ، دون أن يكون للأسرة رباط يربط بين أعضائها في دولة شيوعية بلشفية اعتبرت الاباحية من كرامتها الشاذة .

مَثَلٌ من آلاف الأمثلة أسوقه إلى القراء السكرام ليعرفوا مدى توغل سيطرة المكتب السياسي على حياة الأسر . كانت في بانجه سراي

أسرة رزقت بأولاد منهم ابن في الثامنة من عمره ، وأخذ يتردد على المدرسة
 وصدر منه يوماً تصرف أغضب والده فأسرع الابن إلى تأنيبه وتأديبه
 ولقنه جنسقيه وديانته ، ولما تمرد الطفل ضربه على ظهره بخيزران بكى لآلمه
 الابن ثم سكت ، وفي صباح الغد ذهب الصغير كعادته إلى مدرسته وسمع
 فيها نصيحة مدرسة تلقن تلاميذ الفصل كلمة خلاصتها أن لهم حقاً في شكايه
 الوالدين أو الأقرباء إذا ما ضربوهم ، أو قالوا شيئاً يجرح قلب المدرّسة أو
 المدرسة ، أو بابا ستالين ، أو الشيوعية ، أو شكايه من يصلي منهم أو يصوم ،
 ولكل تلميذ مبلغ جائزة مختارة ، و ، و ، الخ .

فرجع الطفل إلى منزله مساء وقص على أبيه ما سمعه في المدرسة فارتعدت
 والدته دون أن تشعر ذلك للطفل الذي أعقب حديثه برفع سبابته : « حذار
 يا والدي أن تمسني مرة أخرى ، فسوف أشكوك إلى مدرستي » . هاج
 الوالد وبدأت الوالدة تبهكي وتضرب ابنها بكفها وانحدرت دموع رب
 العائلة وسالت على وجنتيه وهو أشد تألماً لهذه الحالة التي كان مثلها سبباً في
 يؤس الكثيرين الذين ذهبوا ضحايا أبناء ربهم المدارس الشيوعية .

كانت الاغنية القومية ممنوعاً ترنيماً في وطن قومي ، وقد قبض في
 القرم على كثيرين ، وحكم على كثيرين ، ونفي كثيرون بسبب ترنيهم
 للناشيد القومية ، وعلى سبيل المثال أورد لكم هنا ما حدث لعشرين شاباً
 في قرية ديمرجي حيث اجتمع الشبان بمناسبة حفلة زفاف ، وغنوا فيها
 أغنية قومية ، وعلى أثر ذلك ألقى البوليس السياسي القرمي في الليلة التالية

القبض على العشرين وحكم القاضي باعدام السيد قورت بدین رمضان وفق مادة ١٠/٥٨ من قانون الجنايات ، ثم استبدل هذا الحكم بعد المساعي الكبيرة بالأعمال الشاقة الأبدية ونفى الباقون عن بلدكم .

والآن تصوروا أيها الاخوان ، حالة الضنك المعنوي والنكبة المادية المستمرة في البلاد . لقد ذهب عدد لا يحصى من الضحايا الذين بطشت بهم برائن البوليس السياسى ، حيناً بحجة تقول طفل جائع يغزو الشيوعيون قلبه بأنواع من الطعام مع إجبار والده في آخر السنة على تحمل مصاريف الطعام من حسابه السنوى الذى سبق ذكره في غير هذا المحل ، وحيناً بحجة معلومات وردت إليهم في تقارير أنكا فيدى ووكلائه المندسين بين عامة الناس وإن كان مثل هؤلاء الوكلاء كمثل ربان موعز باغراق سفينته وسط المحيط ليفرق معها الركاب ثم يلحقهم هو الآخر عن غير رغبة .

هذه الحالة من الضغط مضت تقوى من عزيمته الشعب في تربية روح الانتقام وجعلته ينتظر بفارغ الصبر ساعة وقوف الشعوب المستعبدة كتلة واحدة في وجه موسكو الظامئة للدماء الأبرياء . إلا أن الحظ السيئ لم يلزم هذه المرة القرم فقط بل شمل الشعوب جميعاً بعد أن كشف النقاب عن وجوه الجيوش السرية الراغبة في القيام بالثورة في الاتحاد السوفيتى . فبدأت موسكو تحصد في كل ركن رجال المقاومة ، وألقت القبض على الماريشال توخاتشفسكى وحوكم هو وزينوفيف ونخارين وغيرهم أمام محكمة عليا عقدها الكرملين ، وبعد القضاء عليهم إستمرت أعمال التصفية بحجة تطهير

« الذبول » لغاية ١٩٣٧ ، واضطر ستالين أثناءها تهديته لخواطر الشعوب إلى مراجعة الدستور السوفيتي وتعديله قليلا لعظم جيش المتذمرين الذين أثارت الصحف العالمية حينئذ موضوعهم إثارة عنيفة .

قتل رئيس جمهورية القرم الرابع إلياس طارخان عام ١٩٣٧ بمد أن ظل في الرئاسة سبع سنوات متواليات على الظن بأنه من رجال موسكوف ، وقتل معه من كان حوله قتلا وحشيا للحصول على معلومات سرية تتمصل بشأن المؤامرة على موسكوف ، ولكنهم ظلوا يقاومون ، فماتوا ومات معهم الأسير دون أن تتسرب من جانبهم . وقد قال رئيس الجمهورية لجلاديه قبيلا لإعدامه : « أيها الروس ! أيها الزبانية ! إنكم تريدون إبادة الشعب القرمي ، ولكن الله سيعتقم له منكم يوماً وليس ذلك ببعيد » .

وأتى الروس من بعده إلى الرئاسة بمنياريف ليخفي هو بدوره كخامس رئيس للجمهورية القرمية .

وأما الدستور الستاليني فقد امتاز عن سابقه باعطاء المواطنين السوفيت حق امتلاك منزل وبقرة وثلاث غنم وعدة فراخ وحديقة صغيرة بشرط ألا تريد مساحتها على فدان مع فرض ضريبة خاصة على كل مما ذكر . والعامل السوفيتي يجب عليه أولاً أن يدخر مبلغاً من المال حتى يكون أهلاً لشراء ذلك وهذا في روسيا من المستحيل ، وإن فرضنا أنه حصل عليه بأية وسيلة قانونية كانت أو غير قانونية واشترى منزلاً وحديقة تنرض الحكومة على مالهما ضريبة خاصة تقدرها الإدارة الشيوعية . وإن استطاع أن

يشترى بقرة فعليه أولاً دفع ضريبةها علاوة على تقديم ثلثي كمية لبنها إلى الحكومة ، وإن ولدت عجلاً فعليه أن يذهب لغوره إلى الإدارة لتسجيله ، لأن العجل للحكومة لا للعامل . وإن أراد ذبح البقرة ، وهو مالكها ، لا يملك ذلك إلا باذن خاص ، وبعد ذبحها عليه أن يقدم كمية معينة من لحما مع جلدها إلى الحكومة ، كما لا حق له في بيعها أيضاً ، وكذا بالغنم مع ضريبتها ولبنها وحملاتها وأصوافها وجلودها وبيوعها ، وأما الفراخ فعلى كل منها ضريبة مائة بيضة سنوياً مع المسؤولية في ذبحها .

منحت هذه الحقوق في الدستور المعدل في أواخر عمليات التطهير الواسعة النطاق في الاتحاد السوفييتي بأمل تهـدئة خواطر الشعوب والتخفيف من حدة الأهالي الثائرين الحانقين الحاقدين على نظام النار والحديد ، وعلى نظام سياسة التجويع ، وعلى نظم المكاتب السياسية ، وعلى الجمعيات الاحادية الاباحية في صفوف الجيش والمدنيين . ومع ذلك لم يأمن الأهالي يوماً جانب موسكو كما أنهم ما اعتقدوا في حسن نياتها ، بل ظلت كل أسرة تذكّر شهداءها ، ولم يبق أمام البلاد إلا أن تنظر إلى الآفاق نظرة الاستغاثة وتطمع في مساعدة العالم الخارجى ليساعدها على تقويض أركان الدب الروسى .

كانت القرم والبلاد الاسلامية الأخرى في الاتحاد السوفييتي أكثر البلاد رغبة في إنهيار روسيا مع نظامها البلشفي الشيوعى الظالم ، وعلى مرارة حوادث الضغط الاقتصادى والسياسى إنقضت بقية الأيام بل

السنين في ظلام حالك وراء الستار الحديدي المضروب حصاره على الحقائق المفجعة لسترها عن أعين العالم ، فحُرم الجميع من الجميع ، وسلب الجميع من كل شيء ، بل سلبت من الجميع حريتهم الدينية والمدنية على السواء بحيث لم تبق في الاتحاد راحة لما يسميه العالم حقوق الانسان .

ظهرت بين الرجال ولا سيما بعد سنة ١٩٣٧ ، المقاومة السلبية بسبب الضغط السياسي والاقتصادي الجائر ، وأما الأحداث فقد نشأوا في مدارس شيوعية وتكونت عقليتهم بين أيدي المدرسين الشيوعيين الذين صوروا لطلابهم أن الاتحاد السوفيتي « فردوس » بالقياس للجحيم الذي يعيش فيه العالم الخارجي .

والحزب الشيوعي المركزي قد علق من أول وهلة على هؤلاء الأحداث أهمية كبرى باعتبارهم نواة القوة الشيوعية في المستقبل ، ولذلك نرى أن الحزب قد أعد لهم برنامجاً خاصاً فيه مراحل أربع سميت الأولى أكتوبريات ، والثانية يونيو ، والثالثة كومسومول ، والرابعة شيوعية ، فمن نجح في هذه المراحل الأربع متفانياً في خدمة الشيوعية دون أن تلتصق به تهمة يعتبرها القانون السوفيتي عيباً ، أدرج اسمه في سجل الحزب الشيوعي لكي يتمتع من الامتيازات الشيوعية السرية كما يتمتع غيره من رفاقه . ونظراً لشدة المقاومة السرية الموجودة في البلاد لا يوافق رؤساء الشيوعية على ضم أعضاء جدد إلى الحزب خوفاً من تسرب الأعداء إلى صفوفهم ، اللهم إلا بعد تجربة شاقة طويلة الأمد يطعن إليها رؤساء

الحزب ، ويستوثقون من العضو الجديد في جميع النواحي ، ولهذا السبب لم يكن في سجلات الحزب الشيوعي ، لغاية عام ١٩٤٣ سوى أربعة ملايين وستمائة ألف عضو شيوعي ، يعنى بزيادة مليونين وستمائة ألف عضو على التعداد القديم في سنة ١٩٣٩ ، ويظل تعداد ١٩٤٣ للآن دون زيادة تذكر خشية تسرب الغرباء إلى صفوف الحزب .

والحزب الشيوعي في روسيا ترجمته قيادة روسية ، وآلة سلافية ، معضلات ومشكلات ، يسيطر على البلاد باحتكاره لمؤن الشعب وذخائر الاتحاد وكبت الشعور العام . لم تكن يوماً من الأيام في القرم خاصة وفي الاتحاد السوفيتي عامة حرية الرأي أو الصحافة للتعبير عن الرأي العام . فكل فرد في روسيا عامل عليه أن يرضخ للأمر ويذعن إليه دون أن يكون له حق النقاش فيما هو مكاف به ، وذلك على أساس النظرية الشيوعية القائلة : «إن الدولة أقدر من الفرد في تقدير مصالح الأشخاص ولو سلب منهم حقهم في النقاش » إذ أن مفهوم الدولة في نظر الشيوعيين هو على نقيض ما يفهمه الديمقراطيون في العالم ، وعلى غير ما اصطلحت عليه الدساتير العالمية التي تجد أساس الدولة في إرادة مواطنيها الذين يكونونها فرداً فرداً ، على حين أن الدولة الشيوعية تتكون من إرادة الحزب وحده دون إرادة أفراد المواطنين الذين يُعتبرون في روسيا أحرمة يتمنطق بها الحزب ، ويتفرعن بها المكتب السياسي المتربع على عرش السلطان خلف الإدارة الصورية المحلية لتشرف منه على سير الأعمال واتجاه الأمور .

وعلى كل فرد في القرم أن ينطق كما يلحقن ، وأن يعمل بدون تدمير كما يرشده رئيسه ، وألا يتظلم من قلة الطعام ولا عما يصيبه من تفاهة المبلغ أو الحبوب بعد اقتطاع الضرائب المفروضة ، وألا ينتقل من مكان إلى آخر أو من جماعة إلى أخرى إلا ببطاقة خاصة تستخرجها من الإدارة الشيوعية الرسمية كما أشرنا إليه سابقاً ، وألا يضع الكاتب تأليفاً أو يقدم المدرس رسالة في الجامعة إلا بعد أن يستعرض فيه التاريخ الشيوعي وثورة أكتوبر ، وألا يطبع ذلك إلا بعد الاستئذان من لجنة المراقبة الدائمة في المكتب السياسي و ، و ، الخ .

قولوا وربكم ، أية علاقة توجد بين تأليف طبي ، أو هندسي ، أو ميكانيكي ، وبين تاريخ الشيوعية ، والحزب الشيوعي ، وثورة أكتوبر لو غضضنا عنها النظر في المؤلفات الأدبية . فويل للمؤلف — الرجعي في اصطلاحهم — الذي لا يعقد في كتابه فصلاً كاملاً عما ذكر سابقاً مهما كان نوع الكتاب .

هذا وقد قضى المكتب على حياة الكثيرين من الأدباء ، والمدرسين ، وأصحاب العقول ، والمفكرين بإعادة المراقبة بعد مرور سنين طويلة على مؤلفاتهم المطبوعة بتصريح الحكومة نفسها ، ولا سيما بعد كشف النقاب عن أمر الجيوش السرية في عهد وقع بين ١٩٣٥ و ١٩٣٧ .

قسم الأدباء الشيوعيون لغة القرم الإسلامية التركية إلى ثلاثة أقسام : (بالي بوي — بانجه سراي — وشمالى قريم) تور كجه سى ، بينما

لا فرق بين هذا وذاك ، وسبقت أن تفاهمت بها في عهد المرحوم إسماعيل بك غاصبر الى كتلة تركية إسلامية تضم أكثر من ستين مليون نسمة ، فجميعهم كانوا يفهمون جريدة « ترجمان » الشهيرة التي ظلت تصدر من ١٨٨٣ لغاية ١٩١٦ ، ويفقهون مؤلفاته ، ويقرءونها في لغة تركية . واللغة التركية لا تراك العالم هي بمثابة اللغة العربية التي تتفاهم بها الكتلة العربية قاطبة ويتخاطب بها العرب أو المستعربون جميعاً مع فارق النطق البسيط في اللهجات المحلية .

وهجم البلاشفة على ما سمى إليه إسماعيل بك غاصبر الى من توحيد اللهجات التركية وتنقيف الشبان بثقافة عصرية بقولهم إن تفانيه في سبيل توحيد اللهجات ونشر الثقافة المصرية بين الأتراك كانت أحبولة يقصد بها تحضير سوق للرأسماليين في العالم الاسلامي . وسياسة الهجوم الروسي الموضوع للقضاء على اللغة التركية أخذت تتسع وتنمو ولا سيما بعد المبدأ الذي نودى به علناً للقضاء على لغة الأتراك وإحلال اللغة الروسية محلها في المستقبل . بهذا الغرض قسموا لغة القرم التركية مثلاً الى أقسام ثلاثة ، وغيروا ضبطها بحيث يصير توحيدها ، وذلك بوسائل كثيرة شتى منها إدخال الكلمات والقواعد الروسية فيها .

وقد طرح ألكسندروفيتش على بساط المؤتمر الشيوعي السابع عشر ، وقد كان حينئذ قوميسير المعارف في القرم ، موضوع تطهير اللهجات المحلية بإدخال الكلمات الروسية فيها « طبقاً لما تأمر به أسس الثورة

الشيوعية ! » . ووصل الأمر إلى اتهام من استعمل كلمات تركية بالرجعية والتعصب للقومية التركية ، وأما من استعمل في كلامه اللغة الروسية أو الكلمات الروسية فيعد ظريفاً مجدداً عظيماً ، كما يوصف بأنه أديب قدير يحترم قواعد الثورة ويبجل أسسها . ويسخر الشيوعيون من الكلمات العربية والفارسية المستعمارة من القديم تحت تأثير الثقافة الإسلامية بحيث يقولون « إن الكلمات العربية والفارسية دخلت في عهد كان فيه السلطان للحضارة الإسلامية ، وأما الآن فنحن في عهد الحضارة الاشتراكية ، ولغتنا لغة الروسيين الذين قاموا بثورة أكتوبر يعني الثورة الروسية في سنة ١٩١٧ » . وتوصف اللغة الروسية بلغة الثورة والعمال . لذلك يتحتم على كل شعب في داخل الاتحاد السوفيتي أن يعلمها لأبنائه تعليماً إجبارياً . وبناء على هذا الأساس يفرض البلاشفة ترجمة المؤلفات الروسية والأدب الروسي إلى اللغة التركية فرضاً ويأمرون بتدريسها في المدارس . وقد ذهب هذا في القرم إلى أبعد حد ، ولا يوجد فيها تقريباً شيء من المؤلفات التركية في دروس التاريخ والعلوم والكتب الأخرى ، بينما توجد منها في اللغة الروسية آلاف مؤلفة كما تعترف بها المصادر الروسية الشيوعية نفسها (١) .

ولم يتردد محررو الروس الشيوعيون البلاشفة في تطبيق هذه المناهج على القرم حيث قالوا ما معناه : « يجب أن ترتبط جميع المؤسسات العلمية القرمية وشئون علمائها بالمؤسسات العلمية واللغوية الروسية في موسكو

ولينينغراد كما يجب أن تتمزج جهودها بها (١). ويشكو الروس قلة الدروس الملقاة على تلاميذ المدارس وطلابها باللغة الروسية، ويلجئون على تقوية الآثار والمؤلفات الروسية في القرم، ويصرون على ترجمتها. ثم إن أى شخص قام بالاعتراض على هذه المناهج يمد خارجاً على قواعد الثورة الاشتراكية ويعاقب أشد العقاب. وفرض على الشعب بالقوة البوليسية استعمال اللغة الروسية في مكاتبات الحكومة كوسيلة تمثيل الأتراك ضمن الثقافة الروسية، وقد تعددت التصرفات من هذا القبيل في سنة ١٩٣٨، وأخيراً اضطر الشعب القرمى إلى أن يقبل بالصيغة الآتية ما أمّله عليه إرادة جماعات الحزب الشيوعى في مجالسها العديدة التى انعقدت بأمر موسكو: « يجب علينا أن نتقبل الحروف الروسية لضمان رفع مستوانا المدينى وللتقرب من ثقافة الشعب الروسى العظيم! ». واضطر رؤساء المجالس أن يعلنوا هذا القرار للأمة كما طلبته منهم موسكو. وبينما كانت اللغة الروسية فى القرم تعد من بين اللغات المتساوية التى يتخاطب بها الناس فى الاتحاد السوفيتى أصبحت اليوم توصف بأنها « لغة الوطن السوفيتى العظيم »، وأنها « فى مقدمة اللغات المتساوية فى الاتحاد ».

ورؤساء دول السوفييت ، الذين انتهجوا البراج المماثلة واستصوبوها بايماز من الروس ، حملوا فى أواخر ١٩٣٨ شعوب القوقاز الشمالية وشعب القرم على الاقرار زوراً بأن « الحروف الابجدية الروسية تتفق فى وقعها

مع الحروف الأبجدية التركية ولذلك رأى الأدباء إستساعة الحروف الروسية وقبولها بدل الحروف اللاتينية التي أقيمت في دورها محل الحروف العربية في سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ . وقد فرضت هذه الاستساعة فرضاً على على جمهوريتى القوقاز الشمالية والقرم ، المستقلتين إسماء ، وطبقت من بعدهما على إيديل - اورال وجمهورية آذربيجان وعلى البلاد الاسلامية الأخرى . وهكذا خطت روسيا خطوة أخرى في تطعيم الثقافة التركية الاسلامية بمحنة من الثقافة الروسية الاستعمارية التي ليست بينها وبين الثقافة التركية أى تشابه أو قرابة ، بل ان الثقافتين على طرفي نقيض بمعنى الكلمة تماماً .

وأكثر من ذلك لم تشأ موسكو أن تترك مسألة تدخلها في لغات الشعوب المستعبدة عند هذا الحد ، بل أخذ الروس يطبقون حروفاً أبجدية خاصة على سكان كل منطقة من المناطق التي قسموها تبعاً لشهواتهم وهواهم . والمقصود الأول من هذا كله هو زج اللغة التركية في زاوية الفناء والقضاء عليها قضاء بحيث يعجز بعده الشعب التركي عن أن يتفاهم أفراده وقبائله بلغة واحدة ، والثاني الوصول من وراء هذا إلى أخذ الأتراك بالثقافة الروسية وسهولة توجيههم توجيهاً سياسياً يتفق وشهوات موسكو الاستعمارية .

انتابت بعد هذه التغيرات الأدب السوفيتي في البلاد التركية الاسلامية ، ومنها أدب القرم عوامل الانحطاط في صورة تبت اليأس في

النفوس وقد اصطنع في كثير من عباراته بألفاظ روسية وشيوعية وتماير سلافية، بينما اختفت كنوز الأدب القديمة الوطنية القيمة من صفحة الوجود، وقراءتها أصبحت جريمة يعاقب عليها المرء، فالتراث الأدبي الذي خلقه العهد البلشفي إنما هو تراث شيوعي محض ومقيد بتعاليم الماركسية - اللينينية. وعلى الرغم من هذه الحالة السيئة التي وصل إليها الأدب فان البلاشفة إشتبكوا في مناقشات حادة مع المحررين القرميين الذين يضيفون إلى آلتهم روحاً قومية وطنية ويعذون الشعب بها.

وقادة الشيوعيين يصيحون فيها ويقولون: «إن نقابة الكتاب السوفييتية القرمية لا تعمل للشيوعية، وقد ظهرت هنا أيضاً الغفلة والحماقة وعدم الاهتمام بالموضوع السياسي وكما كثر الاعتداد بالنفس وبانت فيها عناصر الرياء»^(١).

يرمى البلاشفة من وراء كلامهم من هذا النحو للوصول إلى النتيجة الحتمية المؤدية إلى: «إستئصال الروح الوطنية البورجوازية»، و«القضاء على من ينشر في الأدب الروح القومية البورجوازية»^(٢). وهذا هو ما جاء في كلامهم بعد أن أعلنوا مراراً أنهم واثقون من انتشار الشيوعية بين الناس لإنتشاراً كاملاً، ثم يأتون من بعد كلامهم هذا ليحلوا نقابة كُتّاب القرم، ويطردوا منها كثيرين، لتقدمهم إلى المحاكمة

(١) جريدة «ديكي دنيا»، ٢٩،٠ أبريل سنة ١٩٣٨

(٢) جريدة «ديكي دنيا»، ٢١،٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨

بحجة تدخل «عناصر تعمل فيها النهضة القومية والوطنية، وهم من أعداء الشعب» حسب تعبيرهم . وقد اتهم بهمة الجمعية كثير من الأدباء الذين عدوا مسئولين عن انتشارها بين عامة الشعب، وصوروا مؤلفاتهم المصريح بطبيعتها التي كانت في ظاهرها غير محيزة وأما في باطنها فكانت ضد البلاشفة، وقد تمت هذه الكتب مع مؤلفيها إلى لجنة المراقبة حيث أعيدت الرقابة عليها كلمة بكلمة وجملة بجملة ، واستهدف أثناءها المؤلفون لمناقشات حادة ظالمة (١) .

وليس للأدب السوفييتي هدف سوى خدمة المبادئ الشيوعية وغاياتها التي يرى إليها الحزب الشيوعي وتتمنى موسكو تحقيقها على أكمل وجه . إن البلاشفة على الرغم من مساعيهم البوليسية يصرفون غاية الجهد المنطقي لدعوة العناصر الوطنية لاستساعة الأدب السوفييتي البلشفي ومع ذلك فكل محاولة من جانبهم مازالت تذهب سدى . وأما النتيجة المباشرة التي يستخلصها المرء من كل هذا التطاحن القائم فهي إن البلاشفة يجدون أمامهم الأدباء الوطنيين ومشايخهم الذين يناضلون من أجل النهضة القومية بكل ثقة وحماسة ونشاط .

يفتقر البلاشفة في ميدان العلوم والمعارف العامة بازدياد عدد المتعلمين مع أن جرائدهم على أنواعها ملأى بالشكاوي المرة مثل : « الفوضى تسود المدارس ، وعدد المدرسين قليل ، والمدارس لا تفرح ، ولا توجد فيها الكتب » وفضلا عن ذلك لو لاحظنا التدريس المشبع بالروح الشيوعية في اللغة

(١) مجلة « أمل مجموعتي » ، رومانيا ، كونسنانزا ، فبراير سنة ١٩٣٨

الروسية ، فالترزايد الكبير الذى يدعيه الشيوعيون من حيث الكمية انحط ونقص من حيث الكيفية إلى حد كبير .

يستفاد من الصحف البلشفية نفسها أن الشيوعيين يعملون من وراء الستار فى ميادين الموسيقى ، والاذاعة ، والمسارح ، و الفنون الجميلة ويسمعون إلى تحقيق كل ما من شأنه خدمة موسكو ، فبعض المقتطفات من المقالات المنشورة فى الصحف القرمية التى تذكر فيما يلى تقدم على الرغم من مضى زمن عليها دليلاً كافياً على تنازع البلاشفة الشديد مع الوطنيين (١) .

أما فيما يختص بالفنون الجميلة : « فتلا أحد أعضاء جمعية الفنون الجميلة بمدينة آقمسجد تقريراً فى الاجتماعين الأخيرين اللذين تم عقدهما فى بناء الجمعية المذكورة ، ودار فيها الكلام حول نشاط جواسيس الأجانب فى أرض السوفييت ونوقش هذا التقرير بين الأعضاء ، وأثبت الخطباء الذين تكلموا فى الجلستين استمرار الروح الوطنية بين أعضاء الفنون الجميلة ، وضربوا أمثلة كثيرة على صحة وجود هذه الروح فى بنيتها » .

وأما فيما يختص بالحياة المسرحية : « فاف الناس يتحينون الفرص ، ويستفيدون من إهمال أسس الثورة وقواعدها ، ويحاولون بواسطة الحياة المسرحية أن يغرسوا فى نفوس الغيورين من الأتراك فكرة الوطنية البوزجوازية والوطنية المثالية التركية .

(١) مقال عنوانه « القرم فى سنة ١٩٣٧ » ، إقتبسته من الصحف البلشفية مجلة « أمل مجموعته » فى نسختها الصادرة فى فبراير سنة ١٩٣٨ ، بكوستانزا ، رومانيا .

وأما فيما يتعلق بالراديو : فيحاول الرجعون بنظرياتهم الوطنية في هذا الميدان أيضاً أن يفرقوا بين الحضارة التركية والحضارة الروسية .

وفيما يتعلق بمسائل التراجع : « حاول الوطنيون أن يأخذوا على عاتقهم مسائل التراجع الروسية لكيلا تنتشر هذه بين عامة الناس . وأخيراً عند ما أدر كوا صعوبة المسألة وخطورتها غيروا خططهم إزاءها ، وأدخلوا عليها في هذه المرة كثيراً من الكلمات العربية والفارسية ، وكما أراد الوطنيون البورجوازيون أن يسلكوا في كتاباتهم أسلوب إسماعيل بك غاصبرالى الذى كان من أعظم الشخصيات القرمية تفانياً في خدمة القضية التركية ، وكانت هذه حركة تركية مضادة للسياسة المركسية — اللنينية .

هذه المقتطفات التى نقلت بعضها من المطبوعات الشيوعية البلشفية تؤكد لنا أنه على الرغم من الشدة التى يستعملها البلاشفة ضد الشعب عامة وضد الوطنيين المتعلمين خاصة وعلى الرغم من الخناق الذى يضيقه البلاشفة عليهم ، فلا زال هناك من يتحداهم للجدال والنضال في ميدان الثقافة ، وتجري نفس الحالات في ميدان الموسيقى وميدان المطبوعات البلشفية المنتحلة المقلدة وغيرها .

سبق أن ذكر في البحوث المتقدمة إعدام ولى إبراهيم رئيس جمهورية القرم ، وزملائه في سنة ١٩٢٨ رمياً بالرصاص بتهمة أنهم كانوا وطنيين ، ونفى إلى اورال خمسة وثلاثون ألف تركى بدون ذنب ارتكبه سوى أنهم أحبوا وطنهم مثل رئيسهم ودافعوا عن كرامته .

وخلف ولى إبراهيم في رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية القرمية محمد قوباي . وكان سكان قريتي صوداق واوسكوت رفعوا علم التمرد عام ١٩٢٩ في شهر ديسمبر ضد الشيوعيين الذين أرادوا تكوين الجماعات التعاونية والزراعية وتطبيقها في القرم ، وطردهم طرداً ، وكان رئيس الجمهورية محمد قوباي الذي جاء من بعدهم تهدئة خواطر القريتين التائرتين أستقبل بنفس السخط والكراهية التي قوبل بها الشيوعيون وطردهم بنفس الثورة والغضب . وجاء في جريدة « يرافدا » الروسية الصادرة بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٢٩ بمناسبة محاولات السوفييت الخاصة بإنشاء الجماعات التعاونية والزراعية ، جاء بخصوص الحد من كراهة الأتراك للمشروع الشيوعي البلشفي : « نحن كلنا أتراك . وليس بيننا أى اختلاف في الطبقات ، والقرم بلاد الترك . بعد هذه العبارات إستقبل الشعب الموظفين الذين حاولوا إنشاء الجماعات التعاونية والزراعية . ولا تمسوا أراضى الغير ، فان الملكية مقدسة . يمثل هذا الكلام كان يخاطب رجال الدين القرويين ، وكانوا يقولون أيضاً : لا تنشئوا الجماعات التعاونية والزراعية فانكم تخالفون بانثائها تعاليم القرآن وتغضبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأشد الأمور خطراً علينا هي التشكيلات الحزبية المحلية التي تنصب من نفسها حامية مصالح القرى ، وقد رد أعضاء الحزب المحلي على أوامر الادارة الشيوعية بعدم وجود أغنياء في هذه المناطق ، وقال هناك أناس متوسطى الحال يشتغلون بأعمالهم الخاصة ، وليس في أهالي يالتنا أى استعداد أو ميل لإنشاء الجماعات التعاونية

والزراعية ، ولا معنى لانشاء الجماعات التعاونية الجديدة ما دامت القديمة لم
تكلل بالنجاح .

ثبتت لنا هذه الوقائع كلها مدى النفور العظيم الموجود في قلب الشعب
ضد الشيوعية التي تحاول بكل قوتها أن تستأصل شأفة الحياة القومية
والاقتصادية من روحه دون أن تقدر صلابتها التي استمدها المسلمون من
الثقافة الشرقية الاسلامية .

كان محمد قوباي وزع الدقيق على من أصابهم محنة الجوع^(١) فعد البلاشفة
هذا العمل جنائية وجرماً فضلاً عن أن موسكو حالت دون مساعدة محمد
قوباي للحركات الاجتماعية في القرم ولشعبها ، فأثر هذا الموقف
الموسكوفي في نفسية رئيس الجمهورية تأثيراً كبيراً وحمله على أن يافظ
ضد المستعمرين الروس قوله التاريخي : « ياموسكو اللعينة ، إنك تبديدن
جمهورية القرم » ، فكان كلامه هذا سبباً في قتله كسلفه ولي إبراهيم على
يد الكرملين .

استدعى محمد قوباي إلى موسكو أيام محاكمة الماريشال توخا تشفسكي

(١) على الرغم من أن انتاج محاصيل الحبوب يمكن أن يسد حاجيات كل جمهورية
من الجمهوريات فانه لم تمض سنة من السنين إلا وقد حدثت في الاتحاد السوفيتي مجاعة
ومات بسببها الناس . أليس من الغرابة بمكان أن يضع الطبيب الشيوعي الموعز الذي
يأتى للكشف على المتوفى ، قطعة من الخبز بجانب ضحية الجوع حتى لا يقال إنه مات
جوعاً ؟ ! لقد كثرت الغرائب من هذا النوع — والله شاهد على ما أقول — ما
بين ١٩٣٠ — ١٩٣٥ وتوفي الناس وبسبب هذا الضغط المادى المستنكر الذي عمدت
إليه موسكو كاحدى الوسائل التي تمكنها من السيطرة على الاتحاد السوفيتي الثائر في نفسه .

السياسية ، وبدأت الصحف الشيوعية البلشفية أن توجه إليه كلمات مثل « قومي ووطني » واتهمته بالخدمة للقضية التركية والعمل لها . وبعد أن سافر محمد قوباي إلى موسكو لم تشر إليه الصحف القرمية بشيء عن قريب أو بعيد كما لم تعلق عليه ، بل أمسكت حتى عن ذكر اسمه إمساكاً تاماً . وخلف محمد قوباي في مركزه بالرياسة إلياس تارخان أحد أتراك القرم . وقد زج البوليس الروسى السياسى بالياس تارخان رئيس الجمهورية ، وحسام الدين رئيس الوزراء وتشاقار ، الذى كان أكثر الناس تحمساً للشيوعية في غياهب السجون بتهمة الوطنية ، ولم يصل عن البعض الآخر الذين اعتقلوا معهم أى خبر ، كما اتهمت في نفس الوقت السيدة ربيعة بكير التى كانت من أذكي نساء القرم وظلت وزيرة للصحة مدة طويلة واعتقلت هي الأخرى بتهمة الوطنية .

ثم جاء من بعده لرئاسة اللجنة التنفيذية المركزية القرمية السيد منياريف .

ويطبق البلاشفة في القرم و آذربيجان و التركستان و اينديل - اورال وفي البلاد الأخرى الخاضعة لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية نفس الشدة و الظلم و الابادة و التنكيل و الاستغلال السياسى الذى ورثه البلاشفة من العهد القيصرى القديم . و اليوم يكفى للمرء أن يستعرض عناوين المقالات التى نشرتها المطبوعات القرمية حتى يأخذ فكرة عن سياسة البلاشفة في جمهورية القرم . وهى مثل « يجب الصراع العنيف ضد »

البورجوازية ، و « الأوكار الوطنية في المدارس التركية » ، و « خطر البورجوازية الباقية آثارها في مسرح الحكومة التركية » ، و ، الخ . وأصبحت الاعتقالات والافصاءات التي تحدث كثيراً في أثناء تطهير الحزب في القرم من الحوادث العادية .

وجاء بعد درجات الحركات الحكومية دور كتاب القرم وشعرائها وموسيقيا وفنانها ومؤلفيها في الدراما . مثلاً طرد عمر اييجي ، وهو من أشهر أدباء القرم ، من نقابة الكتاب أشد الطرد . واعتقل بجانبه الكثيرون من أمثال أديب ، وإرغاد قدير ، ودكر منجي ، وآلتائي بتهمة الوطنية . وكان إرغاد قدير هذا ذلك الأديب الموهوب الفقير الذي نشأ في صباه على الطريقة التي يمينها البلاشفة لكل فرد ، وكان حقاً ممن يكسبون قوتهم بعرق جبينهم . واعتقل رجال يزوف في المسرح القرمي ، وألقي القبض على السيد بقال مدير المسرح ، والسيد درويش رئيس القسم الفني فيه ، والسيد رفعت ذلك الملحن الشهير ومنشئ أوبرا القرم ، وضم إلى هذه المجموعة رجال آخرون كثيرون ، فزعمت موسكو على أثره أنها اهتمت إلى جميع الوطنيين من بين المحررين القرميين ، لذلك نقلت الموظفين والأدباء الذين كانوا يعملون في الصحف التركية في « يكي دنيا » ، و « ياش قوت » ، والمجلات العالمية الشهيرة مثل « ليتراتورا وكولتورا » ، وغيرها إلى حيث رأى لها ، وصودر كتاب دميرجي الصحفي العظيم بأجزائه الأربعة بحجة أنه وضعه بروح وطنية بورجوازية رجعية .

واعتقل السيد غفار ، والسيد مصنف ، والسيد بوياجى ، وغيرهم من الذين كانوا يعملون فى مطبوعات الدولة بنهضة نشر الروح الوطنية بين الناس ، وكما يوجد بين أساتذة المدارس الابتدائية ، والثانوية ، والعالية كثيرون ممن اعتقلوا بتهمة الوطنية ونشر الروح القومية بين تلاميذهم وطلابهم ومستمعهم . وحاولت السلطات الروسية اقتفاء آثار التشكيلات الوطنية فى صفوف الجمعيات التعاونية والزراعية وتهتدى إليها ، ولكن محاولتها كلها ذهبت سدى ، لذلك كانت الاعتقالات وعقوبات الاعدام والنفي والاقصاء والتعذيب جارية على أشدها فى البلاد ، كما صرح بذلك البلاشفة أنفسهم ، لأن الروح السائدة والمتبلورة فى القرم كانت تعمل دائماً على فصلها عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالتعاون مع الشعوب المستعبدة الأخرى فى الاتحاد السوفيتى .

وأما الكلام عن الاضطهاد الدينى الموجه ضد المسلمين فى عهد القيصرية ، وضد الجميع فى عهد الشيوعيين ، فما يثير الدهشة والرهبة فى نفوس المؤمنين وغيرهم . كان الاضطهاد فى عهد القيصرية ناشراً جناحيه فى كنف الموظفين الروسين « بريكاز » ، والمبشرين المسيحيين بتأييد رسمى من الدولة القيصرية ، لذلك لا يعتبر الاضطهاد الدينى فى روسيا أمراً حل بها حديثاً إنما الاضطهاد الشيوعى المرعب الذى هز العالم الاسلامى والانسانى قاطبة ضرب من برنامج مواصلة القضاء على الدين المحمدي مع عظيم الفارق بين اضطهاده واضطهاد الدين المسيحى فى روسيا الحمراء .

رفع هيرماهان ، أسقف القازان ، في بداية العصر السادس عشر تقريراً إلى أعتاب مولاه القيصر تيودور يسرد فيه بلسان محرق بالغ الأثر حوادث فشل التبشير المسيحي ، وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلي الاسلامي وجرأتهم في إقامة شعائرم الدينية بمساجد أقاموها من جديد . وبناء على هذا التقرير الأسقف قام القيصر المذكور بأخذ تدابير صارمة ضدهم ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم مع إجبارهم على الإقامة في حى أنشئ خاصة لهم بمدينة القازان تحت إشراف أحد أمراء الروس ، ثم كُلف الشبان تكليفاً بالزواج من روسيات والبنات من روسيين ، ومن خالف الأمر كان مصيره إلى السجن وتعذيبه فيه بوضع القيود في يديه ورجليه وضربه بالسياط وكما لو كان هذا التعذيب غير كاف لاشباع نفسية القيصر أمر فوق ذلك بهدم المساجد التي بنيت من عصور ويطرد المسلمين من مدينتهم ونفذه ما أراد (١) .

دامت الحروب الطاحنة العامية بين المسلمين من جهة والمبشرين الروس الذين أبدتهم الدولة القيصرية من جهة أخرى ، وكان فيها سلاح الأولين قوة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم بينما كان الآخرون يستغلون القوة المادية على اختلاف درجاتها وأنواعها . وقد وصف ذلك م . بينه كين المؤرخ الروسى وقال في تأليفه (٢) : « لم يقاوم المسلمون في هذه الديار المسيحية مقاومة

(١) د وثائق أرخبوغرافتشكى أ كسبه ديتسيه ، المجلد الاول ، ص ٣٠٨ نقلا

عن تأليف «القازان» مؤلفه عبدالله بطال . (٢) «القازان في ماضيها وحاضرها» ص ١٢٦

عنيقة فقط بل انتشر الاسلام بين الوثنيين الكثيرين وبقى الأرثوذكس أنفسهم أمام خطر انتشار هذا الدين الاسلامي ومقاومته .
يقول فيرسوف ^(١) في كلامه عن التبشير: « إن قوة الدين الاسلامي وصلابته في العقيدة في هذه البلاد ، إنما تستمد من سلطان أهل الدين على الشعب ونفوذ الشيوخ عليه . ليس مصدر هذه القوة في أثر الوعظ على الناس في أماكن خاصة فقط ، بل مصدرها الأساسي في أثر الارشاد بالمساجد والجوامع ، لذلك رثي من المصلحة العامة هدم هذا الركن الاساسي في الاسلام ^(١) » .

ثم واصل المؤلف نفسه شهادته في محل آخر من تأليفه فقال ، في صحيفة ١٢٧ بمسند أن عدد مظالم الدولة الجائرة ضد المسلمين في العصر الثامن عشر : « ظلت الحكومة القيصريّة تسير على خطتها بالغمز والغيرة لغاية عام ١٧٥٥ ، ولكن ما أصابها من نجاح بين الوثنيين لم يصيبها بين المسلمين إطلاقاً بحيث لا نصائح المبشرين أثرت فيهم ، ولا الامتيازات الممنوحة لمن أجبر منهم على اعتناق المسيحية صلحت ، ولا الضرائب الفادحة التي كلف المرتدون بدفعها تفتت ، ولا هدم المساجد أزعجت النفوس ، ولا المضايقات الكثيرة الأخرى آلمت نفوس أولئك الناس . فالوثنيون الذين عاشوا معهم إعتنقوا المسيحية ، بينما المسلمون ظلوا مخلصين لدين آبائهم وعقيدة أجدادهم » .

(١) « أهل القازان ، ص ١٧٩ نقلًا عن « القازان » لمؤلفه عبد الله بطال ص ١٠٩

كان الدين في روسيا آلة لسياسة الدولة يخضع لحكمها رجال الكنيسة حيناً، ويثورون عليها طوراً. وقد بلغت هذه الثورة ذروتها يوم أن ألغى بطرس الأكبر سلطة الكنيسة الروسية، ولم يسمح بانتخاب البطريرك بعد وفاة أديان، وقال المستر بونجقوسكي في تأليفه^(١): «إمتاز عهد بطرس الأكبر بأمواج اضطهاد جديد إكتسحت به الدولة الدين وهجمت على سلطان الكنيسة، وحينما عارض رجال الدين خطته التي أدخلها قهراً قام يحارب الكنيسة والبطيركية، ولم يوافق بعد وفاة أديان في سنة ١٧٠٠ على انتخاب من يخلفه، ولكن في عام ١٧٢١ أمر القيصر ببناء معبد ليكون مركز إدارة الكنيسة فأسماء السلطة الروحية والتي سميت فيما بعد المجلس الديني المقدس».

لم يتشجع رجال الدين يوماً للخروج على رغبات الدولة الروسية الطامعة في التوسع على حساب الدول المجاورة. كما ورث سياسة الروس من أسلافهم فكرة تحكم الدولة على الشعب مع استبداد إدارتها، وتنفيذ ما ترغب فيه مهما كانت عاقبة الأمور عملاً بالمبدأ القائل «الغايات تبرر الوسائل». لذلك مارعوا قطعاً طبيعة الوسائل التي استعملوها ولجأوا إليها كلما قاموا بتنفيذ خططهم. أقام الروس إمبراطوريتهم على أنقاض دول «أورآسيا» ومقاطعاتها الجميلة الواسعة التي نصبوا فيها حكمهم الذين ما عرفوا يوماً للإنسانية معنى. وزيادة على ذلك فقد منعت موسكو اشتراك

(١) «نحرفهم روسيا، الطبعة الانجليزية، القدس ١٩٤٧، ص ١٠٨

السلطات الدينية مع الدبلوماسيين الروس في تقرير مصائر الشعوب المجاورة لكيلا تمانعها في استعمال السبل المشروعة وغير المشروعة لاختضاع البلاد المظلومة وإبقاء حدودها الجديدة في نطاق الامبراطورية بالحديد والنار ، ويفرض على أهلها مبدأ « سلافيزم » . والروس الذين لهم ضئيل حية لقد تكلموا كثيراً على موقف موسكو الجائر وأخذوا على رجال الدين الساكتين بعد أن لقبوهم برجال « نعم » .

كتب المستر بونجقوسكي ، في ص ١٠٧ من تأليفه السابق الذكر ، استناداً إلى الخطاب الذي بعثه البطريرك نيكول إلى استانبول بشأن خضوع رجال الكنيسة إلى إرادة القيصر فقال : « حينما يأمر القيصر باجتماع المجلس الديني يلبى المجلس لقوره دعوته فيعقد الاجتماع المطلوب ، وعند ما يأمره بانتخاب أو تعيين أسقف جديد يؤدي المجلس عمله كما طلب إليه القيصر ، وإن أصدر أمره بحاكم شخص أو الحكم عليه فيتم له ما يريد مع حرمان المحكوم عليه من حقوق الكنيسة » .

في الواقع لم يكن يدور في خلد القياصرة بالزام السلطات الدينية بالتشبي مع رغباتهم سوى موضوع إقامة إمبراطورية لها قومية روسية وثقافة سلافية موحدة . وقد عملوا لها دائمين فحسوا على الشعوب الاسلامية وغيرهامن غير رحمة في سبيل الوصول إلى أهدافهم ، وقد جاء في كتاب المستشرق المجري راشيوني ، الاستاذ السابق في جامعة أنقرة وعضو الجمعيات العلمية الاوربية (١)

(١) كتابه الاتراك في العالم ، باب الاتراك في الاتحاد السوفيتي .

«... إنه لم يكن القيصر بوريس غودونوس من أصل تركي فقط (١٥٩٨-١٦٠٥)، بل كانت الأسرات الروسية الارستقراطية الكبرى إلى عهد قريب تركية الأصل، ونسرد هنا على سبيل المثال أسماء بعضها مثل أرتيسباشف، ورمسكي قوزماقوي، وبولتين، وناشكين، وفليامينوف زرنف، وخانكوف، وصاروف، ويسكوف، وتشيريكوف، وكوكوشكين، وبولغاكوف، وقوراكن، ويوسفوف، ووافاروف، ودرزافن، وأراقسين، وراسطونتشين، وترتياكوف، ودافيدوف، وتوركينف» وآلاف من الأسرات الأخرى الماثلة لما ذكرناه.

وقد أثبتت من جهة أخرى أكاديمية العلوم التاريخية التركية بأنقره، في التاريخ التركي العام ^(١)، أن لينين نفسه ذلك الخادم الروسي الجبار الذي أخرج الشيوعية من حيز النظرية إلى حيز التطبيق وجرب ذلك على الأديان والشعوب نكبة قضت على الملايين، يرجع نسبه إلى أصل تركي إسلامي، وأجبرت أسرته فيما مضى على تغيير دينها بسبب الاضطهاد الروسي القيصري. وأما البلاشفة فقد كتموا بمهارة خططهم السرية وحقيقة موقفهم من الدين وتمكنوا من الظهور أمام الشعوب، إلى حين تركيز القوة في يدهم بمظهر محب إلى النفوس. وأما على أثر اطمئنانهم للموقف الخارجي فبدأ الحزب الشيوعي ينشر خلاياه المنظمة أدق تنظيم في أرجاء الاتحاد السوفيتي فعمدت هذه الخلايا الحادية إلى استئصال شأفة الدين أولاً بالقضاء على

القضاة ، والمفتين ، والمدرسين ، والوعاظ ، والخطباء ، والأئمة ، والمؤذنين واحتلوا المدارس ، والجوامع ، والمساجد ، وأنفوا في القرم والبلاد الإسلامية الأخرى الهاكم الشرعية وديار الافتاء ، وقد أصبح كل ذلك أثراً بعد عين ثم حولوا الجوامع والمساجد إلى مسارح واصطبلات لخيول قوخلوز ، أو مخازن لمؤن وذخائر ، أو إلى النوادي ، أو إلى أدوار السينما ، وما إلى ذلك من أشياء لا يقرهم عليها شرع ولا قانون . وقد جمع البلاشفة نسخ القرآن والكتب الدينية وأحرقوها حرقاً لم يشهد الإنسان هذا الانحطاط الخلقى حتى في القرون الهمجية الأولى ، وتبع هذه العملية تطهير رجال الدين ، كما سبق ذكرهم ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل في ميادين عامة ، ونجت من أيدي الملاحدين بعض الجوامع النادرة التي اعتبرت آثاراً علمية ، أو أمرت موسكو بعدم مساسها لتتخذها عند الزوم دليلاً ضد ما قد يتسرب إلى البلاد الخارجية من أخبار «مزورة وكاذبة» في نظرها ، وبذلك انقطع الأذان الحمدي في أنحاء القرم ، والبلاد الإسلامية السوفيتية ولا أحد جرؤ على أداء شعائره الدينية فيها لما فيه خطر هلاكه .

هذا مسجد «خان جاميسى» من أعظم جوامع مدينة كوزلوه وأحسنها ويرقد في حديقته المصريون من أمثال الفريق سليم فتحى باشا ، على بك ، ورستم بك الأبطال الذين استشهدوا في حرب القرم بمعركة آقيار «سباسطوبول» ، في عهد عباس الأول رحمه الله ، ودفنوا في حديقته تبر كاليكونوا مزاراً للمسلمين ورمزاً لقوة التآخي والصدقة بين مسلمي

القرم ومصر . وقد أغلقه البلاشفة في أول الأمر ، وسمروا أبوابه ونوافذه
وسمعوها بالشمع الأحمر ثم جعلوا منه متحفاً شيوعياً ، وبعد ذلك حولوه
عام ١٩٣٦ إلى مخزن القطن ، ومن بعده جعلوه مخزناً للقمح ، وفي الأيام
الآخيرة مخزناً لصوف الأغنام المقصوص وكبسوه فيه بقذارته المعروفة
عنه قبل غسله وتنظيفه . وهذا مسجد « جمعه جاميسي » ، وذلك « شكر الله
جاميسي » حولوها بعد إهانة قدسيتهما إلى مخزن البصل . وهكذا لم ينجح
جامع من جوامع كوزلوه البالغ عددها ٣٦ مسجداً إلا وقد حول إما إلى
مخزن حبوب أو ذخائر حربية أو إلى سينما ، أو إلى ناد ، أو إلى اصطبل أو
إلى مرقص ، أو إلى مدرسة شيوعية . وهاكم أسماء معظمها : سفر أفندي
جاميسي ، ويكي محله جاميسي ، وأسكي طاتلي صو محله سي جاميسي ، ويكي
طاتلي صو محله سي جاميسي ، وأسكي طوقال جاميسي ، ويكي طوقال جاميسي
وباغجه لقي محله سي جاميسي ، وأسكي حاجي منان جاميسي ، ويكي حاجي منان
جاميسي ، وحاجي كنعان جاميسي ، وحاجي جمال الدين جاميسي ، وآق
موللا محله سي جاميسي ، وحاجي أرسلان جاميسي ، ويشيل جامع ، ومحكمه
جاميسي ، وسيفي أفندي جاميسي ، ومحمد أفندي جاميسي ، وغيرها . وما
آلم الانسان أن يمجديوت الله ، التي كانت تنبعث منها الأنوار المحمدية
بالأمس ، قد تحولت اليوم إلى أركان أصبحت هي بؤرة الفساد . . .
وتأكيدا لبيان الاضطهاد الشيوعي الديني أسرد للقراء الكرام أسماء
جوامع باغجه سراي التي أهينت أيضاً كما أهينت بقية المساجد في بلاد

القرم والمقاطعات الإسلامية في أثناء الاتحاد السوفيتي . لقد كان لهذه المدينة ، التي ظلت مدة قرون كثيرة عاصمة لدولة القرم ، إثنان وثلاثون جامعاً من أروع المساجد إلى أن حل بها ظلم البلاشفة الذين بدأوا أولاً بالقضاء على « خان جاميسي » الشبيه بمسجد محمد علي باشا الكبير في القاهرة وحولوه إلى مخزن ، كما حولوا عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ « لنين صوفاغني جاميسي » إلى دار السينما فإلى مخزن القطن . ثم أغلقوا عام ١٩٣٥ « يانغان جامع » ، و « طوز يازاري جاميسي » ، وحولوا مسجد « واه اوغلي جاميسي » إلى مخزن الشعير . واتخذوا من « صير مالى جشمه جاميسي » محلاً لفابريكة نازوز ، فقابريكة الجوارب ، وإلى نفس المصير انتهى طوقال جامع ، و آصا قويو جاميسي ، و بويوك آققاش جاميسي ، و قاضي محله سي جاميسي ، و قارامشق جاميسي ، و أسكي بورو جاميسي ، و عزيز جاميسي ، و آق جو قراق جاميسي ، و صالاجق جاميسي و قاضي محله سي جاميسي ، و صاوصقان جاميسي ، و يكي محله جاميسي ، و قايتازان جاميسي ، و صوغان يازاري جاميسي ، و شاه بولا ط جاميسي ، و تحتة جامع ، و زنجيرلي مدرسة جاميسي و اورتا مدرسة جاميسي وغيرها . وقد عمت هذه المصائب مدن القرم وقراها كما عمت بلاد شقيقاتها في شمال القوقاز ، و آذربيجان ، و ايديل - اورال ، و الترستان .

يعرف القراء أن الموقف العدائي الساخر الذي وقفته الشيوعية من

الدين يرجع إلى تأثير لينين تلميذ الابليس كارل ماركس الذي رفض السجود لخالقه فقال نائراً: « إن الدين آفيون يخنر أعصاب الشعب » .

تمسك لينين بهذا المبدأ في جميع خطبه ومنشوراته ومؤلفاته ، ابتداء من سنة ١٩٠٢ لغاية ١٩٢٤ واعتبر الدين عاملاً سلبياً وهادماً ورجعياً في حياة الفرد والشعوب وخالف ، بسلوكه الشاذ في الاتحاد ، مذاهب الاشتراكية الغربية الديمقراطية ، وقد أجمعت هذه المذاهب كلها بما فيه المذهب الاشتراكي لعمال بريطانيا اليوم على عدم اضطهاد الدين واكتفت بفصله عن شئون الدولة فقط .

نستطيع أن نقول إن لينين انفرد عن الاشتراكيين الآخرين باعتبار الاتحاد جزءاً متمماً للمركسية ، وعد نشره في العالم من أقدس واجبات الشيوعية . ولا يكفي في نظر زعيم الشيوعية الروسية فصل الدين عن الدولة إنما يتحتم على الشيوعيين القضاء على شعائره حرصاً على مصالح الكادحين في العالم .

خط لينين موقعه من الدين في باب قضايا الشيوعية العامة المندرجة في البرنامج الذي أعده لحزبه عام ١٩١٩ وجاء في الفقرة الثالثة عشرة منه : « أما موقفنا من الدين فيجب علينا فصله عن الدولة كما يجب فصل المدرسة عن الكنيسة ولا يكفي للحزب أن يحرص جهده في أعمال أصابها النجاح فلا أن أو بعبارة أوضح ، لا يجب على الشيوعيين أن يقتصروا على البرامج التي خططناها . بل عليهم أن يحاولوا نسف كل ارتباط كائن بين الطبقات

الكادحة وبين الدين ورجاله مع تشكيلاته المنظمة . الحزب يشجع تحرير الطبقات العاملة الكادحة من سلطان هذه الخرافة بتنظيم دعايات ثقافية وأنه يوصى في نفس الوقت المنظمات الشيوعية بتجنب الهجوم المباشر على تلك الطبقات لما في ذلك من أخطار تسبب في اشتعال نار التعصب الديني والاكتثار عنه .

خلف ستالين في الزعامة لينين ، وسارت موسكو على ثورتها وعنادها المعروف عنها ، قهرت الشعوب ، ودكت مقدساتها ، وأخذت تنشر الرعب والذعر في عرض البلاد وطولها ، ولكن كل هذا الطغيان مانقص شيئاً من حدة الشعوب المستعبدة ، وأخيراً رأى ستالين ضرورة إعادة النظر في الدستور السوفييتي ، وعدل عام ١٩٣٦ المادة ١٢٤ منه كما يأتي : —

« صيانة حرية اعتقاد جميع المواطنين يعلن أن الدين في روسيا السوفييتية يفصل عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة فجميع المواطنين حريتهم في ممارسة الشعائر الدينية أو في الدعوة إلى اللادينية » .

فالشق الأخير من هذه العبارة والذي يدعو إلى الإلحاد له مرماه ومغزاه لدى البلاشفة . إنها عبارة صاغها ستالين ، ودرسها الحزب ، وأكدت نتائجها تجاربهم الطويلة ، ولذلك يتبادر إلى فكر السامع الخالي الذهن نראה هذا البند وطهارته عند ما يقرأها دون أن يلم بأسرار موسكو بينما هي عبارة بليغة فيها فنون كلام تخفي وراءها المآسى كما لو كانت باقة ورد أو زهور نفت بين أوراقها المتفجرات .

نعم ، يتبادر إلى ذهن قارئ الفقرة المذكورة أن الدعوة إلى الدين أو إلى الاتحاد سيان . وبه يتذرع من يريد الدفاع عن وجهة نظر الشيوعية البلشفية ، ولكن الدعوة إلى الدين أو إلى ممارسته في الواقع ممنوع منعاً قانونياً ، في حين أن الدعوة إلى الاتحاد مباح إباحة قانونية وبتشجيع من القانون وإليك دليله :

جاء في الفقرة ١٢٢ من قانون العقوبات لروسيا السوفيتية المطبوع عام ١٩٣٨ في موسكو ما يلي : - « ... إن تعليم الدين للأحداث في مدارس الدولة أو المدارس الخاصة أو في المعاهد الشبيهة بهما يعاقب عليه القائمون بأمره بحبس أقصى مدته سنة مع الشغل » .

والفقرات التالية ١٢٣ ، و ١٢٤ ، و ١٢٥ ، و ١٢٦ من نفس القانون تسجل أيضاً تحريم التعليم الديني في الاتحاد السوفيتي مع عقاب المسؤولين . وأما في الفقرة ١٢٧ فجاءت نصيحة لينين المتملق الموصى بعدم شن هجوم مباشر على المتدينين وعلى شعائهم الدينية خشية إحداث رد فعل قد يعجز الحزب عن إخماد ثورته وعن الاحتفاظ بسلطان الحزب على الشعب النائر :

«التدخل باسم الطوائف الدينية طالما لا يحدث أمر المتداخل اضطراب في الأمن واستهجان بحقوق العامة تكون عقوبته حسباً مدته ستة شهور مع الشغل » .

إن رد الفعل الذي ظهر في القرم وشد من أزره التعصب الاسلامي

العام في الاتحاد السوفييتي حير المكتب المركزي فوففت موسكو من الشعب موقف العاجز عن الاستيلاء على القلوب ولو أنها نجحت في تحطيم قوته المادية . وقد حمت مقاومته هذه . ١ . ياروسلوفسكى ، من أعظم رؤساء الملحدين ، على النطق عام ١٩٣٩ بالمعجز والاعتراف به أمام الدولة إذ قال بأنه بعد جهد جهيد وعناء لا يوصف وجد أن أكثر من نصف العمال فقط في المدن وثلاثي البالعين الذين تريد أعمارهم عن ١٦ سنة اعتبروا ملحدين بينما الأمر المنتظر كان خلاف ذلك تماماً (١) .

سجلت هذه الجمعيات الإلحادية عام ١٩٣٣ خمسة ملايين عضو وذلك في عهد استمر فيه الصراع العنيف الخيف بين الشعب السوفييتي والدولة الشيوعية وكانت تأمل هذه الأخيرة من ورائه أن ترفع عدد الاعضاء إلى خمسة عشر مليون عند ما يقبل عام ١٩٣٧ ، أى بعد خمس سنوات من تاريخه، وما آلم زعماء الشيوعية أن يجدوا بجمعياتهم عام ١٩٣٧ بقاء مليونين من الاعضاء مع زوال قسم كبير من لجانهم وجمعياتهم المعدة لمحاربة الدين وهكذا لم يبق في مايو سنة ١٩٣٩ سوى عشر جمعيات إلحادية ببرامجها الكاملة في أنحاء الاتحاد السوفييتي (٢)

أخذت هذه الجمعيات نحو ١٩٣٥ تنظم في القرم خلايا العرايا، وتكونت منهم فعلا طائفة أخذت تجوب هاتفة للشيوعية والإلحاد شوارع مدينة

(١) د الدين في روسيا السوفياتية ، ن . س . نياشوف . لندن ١٩٤٣ .

(٢) د نحو فهم روسيا ، ص ١١٦ .

كوزلوه ، فقابلها الاهاالى بالرجم والسخرية والوعيد .

وصل الأضطهاد الدينى فى القرم ذروته عام ١٩٣٨ حيث لم يعد الناس يشاهدون فيها شيئاً باسم الدين بعد إحراق نسخ القرآن والكتب الدينية وقلب المدارس والمساجد إلى مؤسسات شيوعية وقتل العلماء والعظماء أو نفيهم إلى سيبيريا . وقد حدث فى كوزلوه أن اعتقل فى ليلة من ليالى عام ١٩٣٨ آخر من بقى من العلماء ، وبهذا التعذيب ألقى الشيوعيون بهم منهوكة القوى إلى مبنى تكرير مياه المدينة المقام على شاطئ البحر الأسود ، واسمه « فودا كانال » ، ثم زجوا بهم فى سكون الليل وعلى الانفراد فى عجلات الماكينات الخلفية المعدة بطريقة خاصة من قبل الادارة الشيوعية لتكون مذبحه الانسان فى « الفردوس الشيوعى » على أرض القرم . وأما العمال المكروهون على القيام بهذه العملية الشنيعة فلا يزالون على قيد الحياة لاجئين إلى أوروبا وتركيا وإلى غيرهما .

لم تنس موسكو الحمراء وصية لينين من أن تغامر الدولة ساعة محنتها بجزء من مبادئ الشيوعى مقابل الاحتفاظ بسلطانها ، ويقول فلاديمير بونجقوسكى بهذا الشأن فى كتابه (١) : « ... قبيل نشوب حرب ١٩٣٩ بدأ الشيوعيون يلمسون صعوبة موقف السياسة الداخلية لمسائناً ، لأنهم كانوا يعلمون موقف الشعب السوفييتى من الدولة الشيوعية ، وأن أغلبية الشعب كانت طبقاته متعصبة لدينها .

فسكر الروس في أن مصير الحرب إنما يتوقف على مواقف الشعوب في الاتحاد السوفيتي ، ولذلك لا نخطأ لو قلنا إن برنامج الاستعداد الحربي تناول أيضاً موضوع العودة إلى سياسة التخلي عن الاضطهاد الديني عند ما يبدق ناقوس الخطر، وتولدت فكرة هذه السياسة عام ١٩٣٣ عند ما أحس الناس بيوادر الحرب في الآفاق على أثر تدخل روسيا المسلح في أمر اسبانيا في الغرب واحتكاكها باليابان في الشرق الأقصى ، ولكن بمجرد زوال شؤون الحرب قامت موسكو للمضي في الاضطهاد الديني المعروف عنها . وقد وجدنا موسكو في اللحظة التي زال فيها خطر الحرب من الآفاق تسلط سيفها على القرم وعلى البلاد الأخرى لتواصل أداء رسالتها الشيوعية آمنة مطمئنة . وما عملته موسكو في القرم من ظلم بعد ١٩٣٤ لم تعمله أية دولة حتى في أنكر همجيتها ، واسكها لانت في ١٩٣٩ ، ثم راجعت عن خطوتها ، وغيرت موقفها عند شعورها بتباعد غيوم السياسة في الغرب ، فحنت نفسها الماكرة لتطبيع سياسة التقرب إلى الشعب المضطهد فأمرت مكتبها السياسي في القرم أسوة بمكاتبها في الجمهوريات السوفيتية الأخرى بأن تسكف عن الاضطهاد بمغادرة ميادين السياسة لمن يثق فيهم الشعب والتواري عن عيون العامة لمراقبتهم من خلف الستار .

ومن الغريب أن الادارة الشيوعية عرضت على الناس قبل هذا بمدة قليلة قائمتين خصصت إحداهما لتوقيع المتدينين والأخرى لتوقيع الملحدين حتى تدين علنا من أفكار الناس فتسير الادارة على ضوئها ، ولكن القرميين

خافوا من أن يكون هذا شرك من طراز جديد نضب لهم ، فامتنع القسم الاكبر من الشعب عن التوقيع على إحدى القامتين ، ووقع أكثرية الشبان على قائمة الملحدين على عكس ما فعله المسنون الذين لم يترددوا في التوقيع على قائمة المتدينين وقالوا جهاراً إنهم متدينون ، كما أنهم متعصبون لدينهم الاسلامي ، ولا راد لقدرة الله إن جاءهم سوء بسبب إعلانهم عن ميولهم هذه .

ابتسم أحد الملحدين لتصريحات أحد الشيوخ فقال له : « لا داعي للخوف أو التخوف بعد اليوم ، فانصح أبناءك المتشككين ليقعوا مثلك على إحدى هاتين القامتين طبق ميولهم الطبيعية » . فبهت الملحد حين سمع من الشيخ الوقور ما معناه « إني هنا يا بني ، لا أملك إرادة غيري . فأنتم الذين علمتموهم التشكك والحذر والاحتياط طيلة العهد الشيوعي » .

والحق أنه كيف كان للقرمي أن يمتدح صحة ما يقوله اليوم الشيوعيون الذين أربوا البلاد من أقصاها لأقصاها بالقضاء على الآلاف المؤلفة من الأبرياء بتهمة التعصب الديني أو القومي ؟ ! لذلك لم يتقرب الشعب إلى الروس ولم يصدقهم قطعا فيما قالوه على الرغم من أن القرميين ، كغيرهم من مواطني السوفييت ، لم يكونوا يعملون شيئا عن سير السياسة الخارجية واتجاهاتها واعتقد الكثيرون حينئذ في ضرورة وجود عامل مهم اضطرت بسببه موسكو إلى اللعب على سياسة مزدوجة قصدت بالاولى التقرب إلى الشعب واجتذاب قلبه لتطمئن على جبهتها الداخلية بينما كانت من جهة أخرى تحاول

المستحيل في ميادين سياستها الخارجية لتفادى الهجوم الغربي المفاجيء .
لا يعرف مواطنو السوفييت سير السياسة الخارجية تماماً ، إذ أن
أجهل الناس معرفة باتجاهات سياسة بلادهم هم مواطنو الاتحاد السوفيتي ،
ما كان أحد فيه يجرؤ ، ولا زال الأمر كذلك ، على استماع الاذاعات
الخارجية لحظها رسمياً . وكما لم يكن القاريء السوفيتي يجد شيئاً في الجرائد
ولا في الكتب سوى مدح الاتحاد السوفيتي والثناء على صناعاته وزراعاته
وثقافته الشيوعية ، ولا يجد فيه الانسان جريدة أو كتاباً أو مقالا أو
رواية أو فيلماً إلا وقد غربله رقيب المراقبين في الدولة . فويل للكاتب الذي
تصدر منه ، ولو عفواً ، كلمة ينتقد بها النظام الشيوعي القائم . فهذه
الملابسات وضعت الناس في موقف يتشكك كل من صديقه أو من قريبه
مهما كان نوع الصلة بينهما . هذا كان السبب الوحيد والأصلي في مقابلة
الشعب هذا التحول بفتور وتحفظ كبيرين مع سريان الخبر بهمسات بين
أفراد الأمة سريان النار في التبن المهشيم دون أن يجد الناس لهذا اللين
الغريب من تعليل أو تفسير ، حتى طالت فترة التعجب ومضت سنة إلى أن
عللت ذلك مدافع الألمان القاصفة المربعة في سهول بولونيا حين أذيع
الاتفاق الروسي الألماني رسمياً . وعندئذ عرف الشعب ما خفي عليه من
أخبار غير سارة وتدابير احتياطية ، وعلم أن موسكو الحمراء عادت في تلك
السنة ، ولثالث مرة في حياتها ، إلى تطبيق نظرية لينين في سياسة المد
والجزر ، إذ كانت طبقت للمرة الأولى في نهاية الحرب العالمية الأولى

والثانية أثناء الحرب في اسبانيا وتخرج الموقف العالمى فى حينها .
نحن الآن فى مستهل عام ١٩٣٩ . . . وقد كان حينئذ ترجة الشعب
القرمى خاصة والسوفييتى عامة حقد وغضب وبغض وثورة على الروس . .
ولوحظ فيه فجأة تراجع المكتب السياسى شيئاً فشيئاً عن نشاطه المستنكر
المعروف ، كما توارت الجمعيات الداعية للالحاد عن الأنظار ، فبرقت عيون
الشعب وتلاذت لأن التحول الفجائى فى سياسة موسكو بدأ بمحاولة
الشيوعيين لاجتذاب قلب الشعب فأحدثت هذه التغيرات المصحوبة
بالانفعالات حيرة ودهشة فى نفوس الناس مع الاعتقاد الجازم فى أنهم على
غسق فجر قرب انبثاق أنوار العدالة الالهية وتمنوا بالدعوة الخالصة لإنهيار
روسيا وتشيع جنازة الشيوعية معها الى غير رجعة . وهزم الناس على اعتبار
يوم إعلان الحرب مسماراً دق فى نعش موسكو ، وعاشوا اغاية ١٩٤٠ فى
جو إطردينقل اليهم نسيمه أنباء الاستقلال والتحرر ، وذلك على علمهم
من أن رجال المكتب السياسى كانوا يراقبونهم من خلف الشاشة ساهرين
على الشيوعية وكم اظمين غيظهم على الشعب . ولمعالجة الموقف منفظ
الشيوعيون حينئذ من مكائهم على الادارة المحلية القرمية ، فأنقصوا كيات
الطعام ، ونقلوا الحبوب الى موسكو بحجة إشتباك روسيا فى الحرب مع
المندا التى أعطيت فرصة اللعب ضد الروس دور الأبطال لتضليل الرأى
العام العالمى ولا سيما لتضليل آراء خصومهم ، وقد نجحوا فيما قصدوه وذهب
هتلر مع أعوانه ضحية هذه الخدعة المحكمة ففضى على الأمة الألمانية البريثة شر

القضاء بقصر نظره ، إذ أن الجندي الروسي الذي تعب وفشل في نظره ونظر أعوانه في الاستيلاء على كاريليا الفنلندية هو نفس الجندي الذي حارب في السنة التالية ، وفي نفس المناطق ، وكسر في ليننغراد أعظم هجوم ألماني جبار خاطف ثابت ، من البر والبحر والجو ، إلى أن يئس الألمان من الاستيلاء على المدينة ومن تحطيم خططها على خلاف ما أعلنه هتلر للعالم في لهجة مدوية متكبرة .

وأما موسكو فقد أدركت فشلها في مسح روح العداء المستحكم بينها وبين القرميين وغيرهم الذين ظلوا يتمنون إنهيائها السكلى وانقضاء أيامها السوداء معها ، ولا شك أن روسيا ندمت في أول الأمر على تأخرها في إعلان سياسة اللين ومع ذلك لم يقطع ستالين أمله في استغلال موقعهم ، وظلت موسكو تعمل لما فكرت فيه وتدعو إليه ، بينما كلفت رجالها من جهة أخرى بالضغط على الشعب لتشيغله واستغلاله استعداداً للحرب وعلى تقليل كميات الطعام ، كما أصدرت قانوناً يعاقب كل حامل يتأخر عن عمله ربع ساعة بعمل إجباري ، بلا مقابل ، لمصلحة الدولة وتتراوح مدته بين ستة شهور و سنة . وفي هذه الحالة تقرض له الدولة مبلغاً من المال ليعيش منه على أن يسدده بالعمل العيني في السنة المقبلة كما سلف ذكره في الكلام عن قوخلوز وغيره . ويقال إنه بلغ عدد هذا النوع من المحكومين في سجلات الدولة في سنوات الحرب عشرات الملايين .

بدأت موسكو الحراء في تطبيق هذه السياسة اللينة الجانب ،

وتسرعت في تنفيذها خوفاً من ثورة البلاد المذبذبة ساعة مخمها وبذلك تساعد الشعوب على انهيار آخر أمل معقود على صمود الجبهة الداخلية ضد المدوان الخارجى ، ولا سيما يضيع الروس بضائع القرم ذلك الجزء الاستراتيجى العظيم ، توازن دفاعهم عن جبهة البحر الأسود .

وافقت موسكو على عرض الألمان للوصول إلى اتفاق وتقام معها ، ولكن كلى الطرفين ظلا يخفيان داخل مظفهما خنجرهما الاحتياطى ، فستالين الذى زادته حوادث بلاده تجربة ومكراً أخذ يتحصن فيما وراء الستار الحديدى ويقوى جبهة الاتحاد السوفيتى من جهة أوربا ضد هجوم قد يفاجئه به خلالها الأعداء يوماً . وهكذا تحصن فى بلاده بقدر ما نفخ فى بوق هتلر لتسايطه على الدول الرأسمالية الغربية لكي مجده فى آخر الأمر منهوك القوى ، متعظم الأعصاب ، لا يقوى على محاربة الروس .

وأما المسلمون فى روسيا بناء على تجاربهم السابقة وسير الدعاية الحالية واتجاهها المكشوف فى موسكو ، فقد نظروا إلى هذا الاتفاق السوفيتى الألمانى مع من فى صفوفهم نظرة اتفاق مؤقت لن يدوم ، ويعتبره الروس كسب وقت ولا غير .

ولم يأت صباح ٢١ يونيه ١٩٤١ إلا وقد تحققت تنبؤات المسلمين عامة وتكهنات الأوكرائين فيما ذهبوا إليه من تفسير ، واسمى قظ القرميون على دوى انفجار القنابل الألمانية فى مدنهم المختلفة وفى نفس الدقائق ، ثم سمعوا المذيع فى راديو موسكو يكرر انتباهاته ثلاث مرات

ليدانا بأذاعة نبأ هام غير عادي فإذا به يعلن نبأ انقضاء الألمان على روسيا السوفيتية في جهة تمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود .

نعم ، سبق هذه الاذاعة بساعات إنذار القنابل الألمانية التي سقطت في آن واحد على مدينة آقيار «سباسطوبول» ، وآقسجد «سمفروبول» ، وكوزلوه «اوباتوريا» والمدن القرمية والاوكرانية الأخرى في الوقت الذي بدأ الجيش الألماني هجومه في جميع النقط البالغ طولها ألفي كيلو متر وعلى أثره أصدرت موسكو أمراً بالتعبئة العامة المقرونة بتوصيات المجلس الاعلى الاستبسال في الدفاع عن كل شبر من أرض الاتحاد ضد الفاشيست المغيرين مع وعيد ستالين لمن يخالف الاوامر العسكرية .

وجدت القرم في بدء الحرب قصما كبيرا من أبنائها مجندين في مقاطعات روسيا واوكرانيا مع الكثيرين من أبناء المسلمين في الاتحاد السوفيتي وكانوا جميعاً في إشراف الجنرالات الروسين الذين يعتمد عليهم الحزب الشيوعي اعتماداً كلياً وكان ستالين أسند إليهم هذه المناصب بنفسه لوثوقه فيهم أكثر من غيرهم .

ثورة ستالين :

أمر ستالين بالمقاومة والاستماتة في سبيل الدفاع عن الاتحاد ، وأمرت قيادة الميدان جنودها بالتسليم والرضوخ إلى أوامرها ، فألقت الفرقة الرابعة ، والثامنة عشرة ، والرابعة والستين ، التي كانت على فوهة المدافع الألمانية السلاح ، وتم بعد ذلك للقسم الكبير من الجيش المقاوم المستبسل ما أرادته قيادة

الميدان، فثارت لهذه الثورة العسكرية نائرة ستالين، وأعلنت بصراحة أنه ليس للاتحاد السوفيتي أسير في يد الأعداء، إذ أن جندي الاتحاد لا يقع أسيراً في يدهم وهو حي، فكل جندي يخون الاتحاد السوفيتي بهذا الشكل أو بغيره تعد أسرته رهينة في يد المكاتب السياسية.

وفعلاً أنجز ستالين وعيده، فمن ثبتت محاربته لروسيا قبضت على أسرته واعتبرت رهينة في يد المكاتب التي نكلت بها أشد التنكيل ونفها إلى أورال وإلى مجاهل سيبيريا لمدة خمس سنوات محكوماً عليها بالأشغال الشاقة بما فيها الأطفال الصغار والصبيان دون سن البلوغ. فالشعب القرى المستسلم لأرادة الله وقدره، على الرغم من كل شيء، عمل كل ما استطاع من أجل التحرر، وذهب ضحية الاستقلال ألوف مؤلفة تاركين وراءهم يتامى، ومساكين، وبؤساء، ومشردين عاملين بالمبدأ القائل «إن شجرة الحرية لا بد أن تروىها دماء الأبرياء».

لا تجد، أيها القارئ الكريم، ولا سيما بين القرميين أسرة لم تفقد شهيداً أو أكثر في عهد الشيوعيين. فالهياكل البشرية المكومة في أرض القرم وفي مجاهل سيبيريا التي طالما أزهرت فيها الأرواح كانت أشباحها تحوم حول الآباء والأمهات والأبناء وتعاتبهم عتاب الآخرة لو أنهم تسامحوا في حقوق ضحاياهم وحقوق الوطن الذي من أجله ضحوا بأنفسهم في ميادين الحروب، والثورات، والتطاحنات، والاضرابات في بلاد القرم.

الروس يقضون على ١٠٠.٠٠٠.٣٥١ شاب وشابة في عهد الشيوعية :
 إن قتل الناس في روسيا هو أهون من قتل الذباب ، نحن الذين شاهدنا الموت
 بأعيننا ، وذقنا مرارة العذاب في الاتحاد السوفيتي في ذلك « الفردوس »
 الذي لا يريد العالم الشرقي أن يفهمه ، تنقل ما نعانى في هذه « الجنة » من
 آلام فمهما الاوروبيون ، وجاء مثلاً في جريدة « روسكيا ميسل » وهي لسان
 حال إتحاد العمال المسيحيين في فرنسا والصادرة بتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧
 أن الروس جنوا في ظرف ثلاثين عاماً على حياة ١٠٠.٣٥١.٠٠٠ نفس من
 الشبان ، وهذا العدد قليل بالنظر إلى الواقع ، ومع ذلك أضف إليه عدد من
 زج بهم في معسكرات السخرة في سيبيريا وهي مقامة في كل منطقة من
 مناطقها بغرض تعذيب ملايين وملايين من بنى البشر الذين يعدمون فيها
 كما تعدم الحشرات . وقد عرض هذه المأساة على الجمهور التركي حضرة
 صاحب المعالي جعفر سيد أحمد قريم في خطب مثيرة ألقاها في ربوع
 الجمهورية التركية بدعوة من حكومتها في نهاية عام ١٩٤٨ وذكر العدد في
 صحيفة ٩٩ من كتابه المسمى « دفع الروس إلى الانقلاب والبلشفية فالى
 الانقلاب العالمى » كما يلي :

السنة	عدد المجنى عليهم	الأسباب
١٩٢١ - ١٩١٧	٤٥٠.٠٠٠.٠٠٠	في الحروب في داخلية روسيا
١٩١٨ - ١٩١٩	١٦٠.٠٠٠	في الهجوم على فنلنديا ولتونيا واستونيا ولااتفيا

السنة	عدد المجنى عليهم	الاصباب
١٩٢٠	٦٠٠.٠٠٠	في الحروب ضد بولونيا
١٩٢١ - ١٩٢٢	٢٠٠.٠٠٠	في الحرب ضد جمهورية الكرج
١٩٢٥ - ١٩٣١	٣٠٠.٠٠٠	في الحروب ضد الصين
١٩٣٦ - ١٩٣٩	٨٥٠.٠٠٠	في الحرب الأهلية في اسبانيا
١٩٣٩	٤٦٣.٠٠٠	في الحروب ضد بولونيا وفنلنديا
١٩٤١ - ١٩٤٥	١٣٠.٠٠٠.٠٠٠	في الحروب ضد ألمانيا وإيطاليا والمجر ورومانيا واليابان وبلغاريا .
١٩٢١ - ١٩٢٢	٦.٠٠٠.٠٠٠	في المجاعة
١٩١٧ - ١٩٢٣	١٦٠.٠٠٠	في اضطهاد الشيوعية لأعضاء الأكاديمية والاساتذة، والاختصاصيين، والمحربين، والرسمين، والمعلمين، والطلبة، والتلاميذ، والموظفين، والضباط .
	٧٤٠.٠٠٠	والقازاق
	٥٠.٠٠٠	وموظفي البوليس
	٤٠.٠٠٠	وعلماء الدين
	١٣٠.٠٠.٠٠٠	والقرويين والعمال
١٩٢٣ - ١٩٣٠	٢٠.٠٠.٠٠٠	في برائن البوليس السياسي تشيكا - أوغبو
١٩٣٠ - ١٩٣٣	٧.٠٠.٠٠.٠٠٠	في المجاعة
١٩٣٠ - ١٩٣٣	٧٥٠.٠٠٠	في عملية التطهير بحجة الرجعية في صفوف الاغنياء
١٩٣٣ - ١٩٣٧	١٠٦.٠٠.٠٠٠	في اضطهاد أوغبو - أنكافيدى
١٩٣٧ - ١٩٣٨	٦٣٥.٠٠٠	في عملية التطهير، وتناولت طبقة المثقفين والعمال والقرويين
	٣٤٠.٠٠٠	في عملية التطهير في الحزب البلشفي
	٢٠.٠٠٠	في عملية التطهير بين قواد الجيش الاحمر وساسته
١٩٣٨ - ١٩٤٧	٢.٧٢٠.٠٠٠	في اضطهاد أنكافيدى لعموم الناس
	٥٠.٠٠٠	في اضطهاد رجال الدين

٢٣٠٠٠ في عملية تطهير رجال الجيش الاحمر
 ١٩٤٧ - ٢١٠٠٠٠٠٠ في المعتقلات والسجون
 والمجموع ٦٣٣٥١٠٠٠

ظلت القرم تجاهد ، مع احترامها العظيم لحقوق الأقليات الروسية والاوكرانية واليهودية فيها ، فجاءها الألمان ووقفت البلاد بجانبهم على حد التعبير القائل « عدو العدو صديق » ، إذ اشتركت مصالح الألمان بمصالح القرم القومية وهكذا عادت إلى القرم حمالة السلام ولكن ! لم تحمل هذه المرة في منقارها غصناً أخضر ، فأسف الشعب للتاريخ الذي أعاد نفسه ، ولكنه لم يأس من رحمة رب السموات والأرضين القائل ولا تقنطوا من رحمة الله .
 التاريخ يعيد نفسه :

سواء قلنا إن القيادة الألمانية زلت قدمها لنشوة الانتصارات التي أحرزتها في أوائل الحرب العالمية الثانية ، أم أن سياسة الألمان لم تكن بعد ناضجة ، فإن الدولة الألمانية أعادت في القرم ، وفي الجبهة الشرقية كلها ، نفس الأخطاء التي وقعت فيها دولتهم القديمة إبان الحرب العالمية الأولى بسبب عدم اعترافها بحقوق أهل القرم ، واوكرانيا ، وبولونيا ، وغيرهم من شعوب كانت هي بمثابة قنبلة ذرية في القضاء على الروس ويبد هذه الشعوب وحدها كان مفتاح السر الذي لم يرد هتلر وأعدائه أن يفهموه قط .
 إن الدولة الألمانية لم تأخذ درساً من سابق عهدها ، واعتمد أبنائها على قوتهم للمادية ، وآمنوا بفلسفتها ، وبها وحدها أرادوا أن تدس أقدامهم

أرض العالم ، ولكن الشعوب المحكومة في روسيا كانت أبعد نظرا من
الألمان ، وظهرت فلسفتها في إدراك المسائل ومعالجتها أقوى وأصدق
بكثير من فلسفة روزنبرغ وصدق الزعيم جعفر سيد احمد قريم فيما أجابه
به من « أن القوة ليست كل شيء في حياة الشعوب ». ولم يمض زمن طويل
حتى تبين أن الحق في القرم ، واوكرانيا ، وبولونيا كان أقوى فعلا من
قوة الألمان ، فعضوا بناتهم عند ما أفهمتهم في روسيا وأكدت لهم
أن الحق متبوع والقوة تابع تجاربهم . ولكن هيات !! بعد أن فأت الفرصة
الذهبية السانحة ، واعترف كثير من الضباط الألمان وساستهم بسوء تصرف
الامان وقصر نظرهم بعد أن غلبت القيادة الهتارية على أمرها في جهة
إستسلم فيها ما يزيد على أربعة ملايين أسير سوفيتي ، وذلك بأمل التحرر من
الجحيم الشيوعي البلشفي . ولكن ماذا كانت الجائزة الالمانية لهذه المساعدة
السلبية التي قام بها أبناء الشعوب المستعبدة في روسيا ؟ ! إعدامهم بالجملة ،
وإبادتهم بالطوائف ، وتمرين الاحداث الالمان على التنشين في أجسام
الاسرى الذين لبوا جميعاً نداء الالمان بالاستسلام . وقد قام الالمان بهذه
العمليات بطريقة يستنكرها الحق والشرع والقانون أشد الاستنكار وتملاً
نفس الانسان المأوأسى !! .

وإني أسجل هنا هذه السطور لارفعاً بالروسيين وشفقة عليهم ، وهم
الذين سببوا كارثتهما الاسلامية في القرم ، ونكبات إخواننا المسلمين
البالغين عددهم ما يزيد على ثلاثين مليون نفس في المقاطعات الاسلامية مثل

القوقاز، وايديل- اورال، والترڪستان، وإنما أكتبها لإظهاراً للحق، وحسرة لهذه الانسانية المذبذبة، ورحمة بالاسرى الذين لبوا على اختلاف مذاهبهم نداء الدولة الالمانية بالقاء السلاح وأسرعوا بالمساعدة ليمجلوا بها القضاء على روسيا الشيوعية، فاذا بهم يجدون أنفسهم في بحر من الدماء بواد لن تجف دموعه !! وكان أشرف للقيادة الالمانية أن تبديهم لافى الاسر بل فى ميادين الحرب قبل استجابتهم للنداء الالمانى .

ألمانيا تشن حرباً على الروس دون سابق استعداد سياسى:

لا يهمننا فى القليل أو الكثير معاملة موسكو للامان أو لمن سار فى ركبهم لأن الروس أناس جردوا نفوسهم من معانى الانسانية بأكلها، كما تبرعوا من الاديان بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، وقد أقاموا براهينها فى روسيا قديماً وحديثاً حتى فى أهدأ الاوقات باقتراف الفظائع والوحشيات التى أثقنا أدلتها بصور أخذناها من صميم حياة الشعب القرى والشعوب البائسة الاخرى فى عهد القياصرة والشيوعيين معا . ولكنه أمر جدمؤسف أن تصدر هذه المعاملة نفسها من الالمان ، من الذين وقفوا يصرخون فى وجه العالم ويتحدون فيه كل من ادعى تفوقه عليهم فى الانسانية وخدمتها . . . فآلوف مؤلفة من أبناء المسلمين الذين ألقوا السلاح بمحض إرادتهم تاركين صفوف الجيش الاحمر ومعرضين أسرهم للخطر سيقوا إلى ماوراء خطوط النار مئات الكيلومترات كقطع الغنم حفاة الاقدام وعراة الاجسام والرؤوس دون أن يقدم اليهم طعاماً ولا شرباً

أو غطاء ، ومن تأخر منهم بضع خطوات ولو لعذر ظاهر مثل المرض أو التعب ، فكان نصيبه رصاصة ترديه قتيلاً دون سؤال أو جواب ١١ . وأقل احتجاج أو تدمير من المعاملة الألمانية القاسية كان كافياً للجندي أن يودع هذه الدنيا الفانية إلى الأبد ، وذلك لأن ساسة الألمان عجزوا عن فهم روح القرميين ، والقوقازيين ، وايديل - اورالين ، والتركستانيين ، وتناسوا ما يزيد على ثلاثين مليون نفس كانت موسكو قبل تعمل حسابهم بكل حذر واحتياط شديدين . نعم ، حرم المسلمون في عهد الشيوعيين من إقامة الشعائر الدينية حرماناً كاملاً لاسيما بعد ١٩٣٦ ، وبدأ الناس يقيمون الصلاة ويصومون سرّاً في ما واهم قدر الامكان ، وأما الآباء الذين لحقوا أن يحتنوا أبناءهم جرياً على سنة الاسلام فأدوا ما عليهم من سنة الرسول ، ثم منعت عملية الختان بعد تزايد الاضطهاد الديني ، واعتبر البلاشفة كل من قام بعملية التطهير عدو الشيوعية وخارجاً على القانون الشيوعي الثوري ، فلم يجرؤ لذلك الآباء أن يقوموا بتطهير أطفالهم (١) الذين بلغوا فيما بعد سن الجندية ، وجندوا وألقوا السلاح في الميادين أو أسروا فيها ، ثم سيقوا إلى معسكرات الألمان وراء الخطوط حيث أعدوا جماعات يمد ذلك إلى الأذهان كارثة الجنود البولونيين الذين قتلهم الروس في كاتين وهم مشدودو الوثاق . كانت الادارة الألمانية تقوم بهذه العملية ضد الاسرى المسلمين الأبرياء بعد فرزهم من بين عموم الاسرى في المعسكر الذي هم سيقوا

(١) مسلمو الشمال وأوروبا يحتنون أبناءهم عامة في سنهم التاسع والعاشر .

إليه ، وكان معيارها الوحيد في الاهتداء إلى مثل هؤلاء « اليهود » في اعتقادها ختانهم أو جناية الدين الاسلامي عليهم في نظر دعاة الشيوعيين الذين اتخذوا من هذه الكارثة الاسلامية مادة غزيرة لنشر مبادئهم الشيوعية الهدامة ودليلاً مادياً على ما كانوا يقولون قبلاً من أن اختان سنة رسول خداع لا تتخذعوا به ولا بدينه .

ثم انتهت هذه الكارثة عند ما تدخل في الامر رجال الأتراك بفضل توسط جعفر بك سيد أحمد قريم وغيره من الزعماء للدفاع عن مسلمي الشمال .

حاربت ألمانيا موسكو والحراء لالانقاذ البشرية المعذبة في « الجحيم » السوفييتي كما ادعاه قادة الالمان في أول الامر إنما حاربها لتحل هي محل الروس في الشرق ولتتسط سلطانها على القارة الآسيوية طالبة أن يسجد أهلها لهتلر كما سجد للملائكة لآدم ، ولكن ستالين الذي مثل دور الشيطان المارد كان أقدر من رجالها في دراية قوة الشرق المعنوية واتجاهاتها السياسية .

اختمرت في رموس قادة الالمان ، مع الاسف الشديد ، فكرة استعمار الشعوب بحجة أن الامة الالمانية فوق الجميع . لذلك لم يرض روزنبرغ قطعاً ، ذلك الفيلسوف الالمانى القصير النظر والحاكم المطلق على مناطق الاتحاد السوفييتي المحتلة ، الاعتراف بحقوق المسلمين أو بحقوق الشعوب الاخرى من البولونيين والاوكرانيين أو غيرهم بل كان يستبد برأيه بشكل غريب ويعتبر شعوب روسيا السوفييتية من جنس واطيء كان مفهومه أن لا حق

لهم في الحياة ! ولقد أمر من في إدارته بمعاملة الأسرى والاهاالى السوفيتية
معاملة الشيوعيين لهم قبلألو لأشد منه . وبني نظريته على أن الشعب
المحتل أو الأسرى لو أنهم نالوا حق المساواة مع الألمان أو من في ركبهم
وتحرروا من ربة الذل الذي هم يزحون تحته لفهموا معنى الحياة ولن يمكن بعده
تسخيرهم لخدمة ألمانيا ، فأدى هذا التفكير إلى قطع الطعام والشراب من
الأسرى السوفيتية وتدميرهم في جباههم بختم الجنس الواطى ثم زج بهم
رجال روزنبرغ في معتقلات أقاموها في بولونيا ، وروسيا ، واورانيا ،
والقرم ، ولم يكن بينها وبين معتقلات الروس أى فرق على الإطلاق .
ظن روزنبرغ ورؤساؤه أنفسهم أنهم في صفوف المتضاميين بشئون روسيا ،
واستكبروا عن الأخذ برأى المتبحرين في سياسة روسيا من أبناء تلك البلاد
بل لم يأخذوا أيضاً بأراء ضباط الألمان الكبار ثم تبخرت القوة الألمانية
التي هم آمنوا بها واعتمدوا عليها دون أن يقيموا أى وزن لقوة الحق ، فبدأ
رجال الدولة من فون بابين وفون منده وغيرهما راجعون فى إستامبول جعفر
سيد أحمد قرمر وغيره من الزعماء ولكن الفرصة الذهبية كانت قد أفلتت
هذه المرة أيضاً من يد الألمان كما نبههم إليه زعيم القرم المبقرى عام ١٩٣٧ .
زار سعادة الزعيم جعفر بك قرمر ألمانيا عام ١٩٣٧ للتوسط بينها وبين
بولونيا عند ما اشتمد الخلاف بين الدولتين واتصل بكبار الألمان فى برلين
وأخذ يشرح لهم ، لله ، خطورة روسيا الشيوعية على الدولتين ولكنه لم
يستطع أن يغير شيئاً من فكر الألمان وبعد أن ذهبت جميع المحاولات سدى

وأعلنت الحرب كتب في ٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ مقالا هاماً عنوانه « بولونيا في سبيل الشرف » بمجلة « أمل مجوعهسى » الصادرة في رومانيا تحققت فيه نبوءته فيما قال عن ألمانيا المحتلة وظهرت بوادر تكهناته فيما ذهب إليه من الحكم على روسيا الشيوعية واستهل الزعيم مقاله بقوله :

« قال آدم ميكيفيتش الشاعر البولوني العظيم في بيت شعر له :
« أيها الوطن المقدس ! ما مبلغ قيمتك وقدرك ؟ »

فالشخص الوحيد الذي يقدرهما لك هو من ضعت عنه وحرمتك ، .
إن كارثة الشعب البولوني التي دامت مائة وخمسين سنة ، والتي أنهكت قواه ، حملته على تقدير وطنه أكثر من أى شعب آخر ، مع إقناعه بأن دعامة السلام الحقيقي والحرية الصادقة إنما تقام على أرض الوطن المستقل لا غير .

لقد لمست روح الأدب البولوني ، والموسيقى البولونية ، والفلسفة البولونية مدة قرن ونصف قرن مضى مرارة الكوارث ، وذاق الشعب طعم النكبات المتوالية فثارت لذلك ثائرته وانقلبت مقاومته إلى قوة أثبت أن تلمين للجبار العنيد .

بولونيا الفتية المناهضة العشرين من عمرها ورثت الكوارث التاريخية والنكبات المؤلمة التي دامت قرناً ونصف قرن . نعم ، إنها وراثتها جيلاً بعد جيل . وارثة الوطن ، ووارثة الحق والشرف ، وفي كلمة جامعة وارثة استقلالها ومجدها وبطولتها .

أية دولة سواها ضحكت في سبيل استقلالها وفي مثل هذه الفترة الوجيزة بأبنائها الابطال الذين لا يحصى عددهم ؟ وإذا أخذت الالسنة تسرد كوارث بولونيا بثور الانسان على التاريخ ، ويغفل من صفحاته التي سجلها الطغيان على الانسانية المطالبة بحقوقها . فالابطال البولونيون الذين ضحوا بحياتهم في سبيل بولونيا واستقلالها وفي سبيل الشعوب المجاهدة الاخرى ، لو أنهم أطلوا رموسهم من مرافدهم كم من شعوب عالمية تملى عليها ضماؤها وقفة الاحترام أمام أولئك الشهداء المظلمين إلى هذا العالم من وراء القبور . كان الامر طبعياً أن يجد الشخص الفاسد النية في طريقه بولونيا والبولونيين حجر عثرة لانه لو لم يهدم كيان بولونيا ولم يقف على مقاومة ابطالها الذين يدافعون

عن الشرف والاستقلال لن يجد لنفسه طريقاً يشقها إلى الاستعمار . وهتلر الجبار على الرغم من اعتماده على أقوى جيش مجهز بأحدث الأسلحة الفتاكة قام يخيف بولونيا عن طريق السياسة مرة وعن طريق تذكير الماضي مرة أخرى ، وأخيراً نفذ وعيده بمد يده للجيش الأحمر وبخطبه ود روسيا ، عدوته التاريخية ، ضد شعب مسالم مظلوم لا ذنب له سوى وطنيته . وتصرفه هذا هيج شعور البولونيين هياجاً كما أحياء في وعى الطائفة المترددة منهم ذكرى حوادث الماضي وعلى الأخص أعاد إلى أذهانها خطر تقسيم بولونيا للمرة الرابعة . نعم ، تصرف هتلر ككاشات له نفسه ، ولكنه لم يحن من اتفاقية مع موسكو ما كان يمنيته لنفسه من ثمار وآمال ، إذ أن البولونيين ما ألقوا السلاح كما لم يتزحزح إيمانهم عما كانوا يؤمنون به ، وقد رفضوا جميعاً الرضوخ للظلم والجبروت ، وساروا قدماً في طريق الدفاع التي رسمها أبطالهم وشهداؤهم ، وهذبها كوارثهم ، وصلبتها نكباتهم . واليوم يدافع البولونيون البواسل عن استقلالهم وعن كل شبر من أرض بولونيا الحرة مبتسمين للقدر ساخرين من الموت وسجل التاريخ دفاعهم في أروع صوره . وأبطالهم الذين استشهدوا في ربوع العالم منذ قرن ونصف قرن كأنهم انبعثوا من جديد ووقف كل منهم في وجه العدو كقلعة ربانية تصد الهجمات الجنوبية التي يشنها المغيرون على أرض الوطن البولوني . وبذلك ضربوا للعالم أروع مثال في الرجولة والبطولة هو فال الظفر ورمز النصر النهائي إن شاء الله .

نحن نحس بشورة أولئك الشهداء وكأنهم يصيحون لبولونيا فيقولون : إذا انهار كيانك ، وزال استقلالك ، وقضى على حقك ، وهو جم شرفك ، ومزقت وحدتك فتيقني أن أوصافك زائلة عن التاريخ فانية إلى الأبد . أها البولونيون ، إنكم بدفاعكم هذا تعملون على إنقاذ الوطن وصيانة الشرف بل تعملون أيضاً على نصرته الحق على الباطل وتجاهدون في سبيل رقى التاريخ الانساني وتحرير الامم وحفظ الاخلاق وتقديس الشرف . نعم ، تصادمت القوة بالحق ، فانبرى كل منهما يهاجم الآخر حتى يقضى على غريمه قضاء مبرماً ! .

« أيتها الامم ! إننا نطالب بالحرية » ، أرادت القوة أن تقضى على هذه الصيحة الفريفة التي انطلقت من أفواه رجال أقاموا الثورة الفرنسية الكبرى . هتلر الذي راح يتمصب لإعادة الامبراطورية الجرمانية والذي انتحل بمذهبه الاشتراكي الوطني أوضاعاً مختلفة يحاول تقسيم العالم شطرين ، وبداعبه خياله بالتملك على مقاليد حكمه وتدفعه

نشوته الى استعمال العنف دون أى مبرر ليصل عن هذا الطريق إلى ما يمنيته لنفسه . يطمع هتلر وأتباعه فى التحكم على مصير العالم ، ويريدون القضاء التام على بولونيا باعتبارها أضر دولة تقف فى طريقهم حجر عثرة . أتستطيع الاعمال غير المشروعة ، التى يقترنها اليوم الفوهرير المحروم من قوة الادراك العلمى والفلسفى المتصف بها فريدريك الثانى ومن البصيرة التى امتاز بها بسمارك الشهير ، أن تمنع التاريخ من أن يأخذ مجراه الطبيعى وهل أنها تملك إعادة الشعوب الى الوراء فى عالم شب من عظة حوادث العشرين قرنا وانتصر بتجاربه على السكوارث والمشكلات ؟ ! لا يمكننى هتلر اليوم بتخطيط الخريطة الجديدة فقط بل أنه يطمع فى التملك على زمام العالم مع تطابق أمره لما فى مخيلته من صور وأشكال فلا تقتنع نفسه الطموحة بضم مدينه دانزيغ والممر البولونى أو لا ترضى بتحكمها على بولونيا أو على أوروبا فقط بل إنها تصر على نشر جناحى صاحبها على العالم بأسره . لا يقف أدولف هتلر عند حد قلب النظام الاجتماعى والسياسى بل إنه يصير على صوغ أسسه الروحية صوغا يهدم دين المجتمع فيطابق أفكاره الشاذة وآراءه الخاصة وقد وصلت اليه م شدة تعصبه لقضيته الجرمانية إلى أعلى الدرجات كلها وقد أبحاث له نفسه استعمال العنف والجبروت كما يشاء . لذلك لا يتردد لحظة فى الالتجاء إليهما فى سبيل وزه ولا يقيم أى وزن لوثائقه وللمفاوضات ولا لمعاهداته ولا لمواثيقه ويستعثر بالأسس التى تستند عليها الحقوق الدولية ، وكل هذه الأشياء فى نظره تافهة لا قيمة لها إطلاقا ، لذلك بينما نراه فى هذه اللحظة يعلن بصفة رسمية تأكيده لقوله « لنأعمل ، وتقديسه للكرامة الانسانية وللصداقة المتبادلة وبينى مفاوضات ومعاهداته على هذه الأسس ، نجده فى لحظة تالية قد انقلب وتبدل وأنكر ما أيده قبلا وأكده سلفا ، وضرب كل شىء عرض الحائط ، ووصف كل شىء قدسه قبل برهة بأشنع تعابير وقذفه بأقذرها . ومنذ أن بدأ الفوهرير يلعب دوره فى مصير الامة الألمانية لم نجد له فكرة من أفكاره المنشورة فى « كفاحى » لم يحدث عكسها . فقال مثلاً ذات مرة « . . . رأيت كوارث الحرب ، وذقت مرارتها ، وشاهدت أهوالها ، وإنتى بشر ، ففكرة الصلح هى التى تسيطر على نفسى . . . » وقال فى عبارة ثانية : « . . . إن البلشفية أكبر كارثة للعالم ، وأعظم آفة له . إنها استبداد قاس يعذب الناس ، ويعيث بالخراب وأخطر مبدأ يخشى جانبه . . . » وقال فى عبارة ثالثة : « . . . إن حقوق الامة البولونية العظيمة التى لها مكانها التاريخى والثقافى مشروعة قدسية . وتأكدوا أن خلافاً لن يحدث

بيننا مدة عشرة أعوام ، ولو ظهر كان حله على أساس مفاوضات ودية . . . ولا حاجة بعد هذا العرض إلى الاسترسال فيما قاله ذلك المستشار بهذا الشأن ، ولنطرح متناقضاته جانباً ، إذ أن العالم أدرك حقيقة أمره ، وسجل التاريخ على صفحاته الخالدة خطواته . لا يخفى على أحد اخلاص تشمبرلين الانجليزى ودالايه الفرنسى للوصول مع هتلر الى تفاهم ينقذ الموقف ويبعد العالم من شرور الحرب وويلاتها . وبولونيا فى دورها كانت على استعداد تام لقبول مناقشة مشكلتها بشرط ألا تمس سيادتها بسوء . ومساعى روزنلت بجانب توسلات الدول المحايدة ورجاء البابا لتجنب الحرب حينما اشتدت فى البداية خطورتها وأطرت أزماتها قد أوضحت للعالم مواقف الدول من الحرب بشكل من العبث أن نسأل اليوم من هو المسئول عن الحرب ؟ فى الحقيقة للحرب مسئولان ، أحدهما ستالين والآخر هتلر ، إذ أن بركانها انفجر بعد توقيع الاتفاق السوفييتى — الالماني . وهذا برهان يكتفى لتعيين مرتكبي هذه الجناية العالمية . اشتعلت نار الحرب فى أول سبتمبر وهى حرب كان يخافها العالم ، ويتمناها هتلر ، وينفخ فيها ستالين . شن هتلر هجومه على بولونيا هائجاً ، صائحاً ، كاسراً ولسكن البولونيين قابله ساكتين بهرود وجراً على حد قول شاعرهم العظيم كراسينسكى الذى قال : « إن الشىء الذى يلعب دوره فى مصير شعب من الشعوب هو البطولة الساكته وهى عنوان القوة فى تاريخ أمة من الأمم » ، هذا المعنى قابل البولونيون هجوم هتلر ، وقذفوا بأنفسهم إلى أتون الوغى ساكتين مدافعين عن شرفهم وحقوق وطنهم ببطولة أصبحت مضرب الأمثال . قام الشعب قومة رجل واحد دفاعاً عن تاريخه ، فأسرع إلى الميدان ، وأخذ يصارع الموت ضارعا إلى الله كما ضرع إليه شاعرهم الخالد ميسكيفيتش بدعائه المأثور عنه : « إلهى ، أرنا ميادين الحرب التى تتمخض عنها حريتنا ، وافتح لكل منا فى أرضنا المقدسة قبراً عزيزاً نيراً ! » . قامت بولونيا وأخذت تدافع عن حدودها دفاع الأبطال وكانت كل نفس فيها تستذكر قول الماريشال العظيم يوسف ييلدسو دسكى الذى قال : « أرى فى الخيال الحائث فوق قبور أجدادى شبح جندى بولونى بقى غريباً عن وطنه تحن نفسه اليه وتنحسر له » .

يحس الانسان فى الصيحات الالمانية بحجبروت وظلم بيننا يشعر فى الصيحات البولونية ببطولة وإقدام ، ينتحر كثير من الالمان فى بيوتهم بالغاز ، وتلقى الامهات بأنفسهم نحيب القطر باكيات قائلات « نريد أبناءنا » ، بيننا نرى فى بولونيا الأمر بالعكس

فوجد الشيوخ والنساء والاولاد فيها يسرعون إلى ميدان الوغى خشية حرمانهم من شرف الاشتراك في الدفاع عن الوطن . ولا تفكر المرأة البولونية في حياة ابنها أكثر مما تفكر في حياة بلادها . ولا تطالب الدولة بما تطالبها به زميلتها الألمانية . بل تعتبر مجرد مطالبها بتجنيد ابنها عاراً على أسرتها . نعم ، نرى اليوم أن البطولة تصارع القوة فثلاثة وثلاثون مليون بولوني قد كشفوا عن صدورهم للموت واتخذوا منها تروساً يصدون بها هجوم تسعين مليون ألماني . ولا يغمضون عيونهم أمام تهديد الألمان ووعيدهم . هتلر على الرغم من اعتماده على تسعين مليون ألماني أسرع إلى البلاشفة لطلب مساعدتهم ، فسحق بذلك مبادئه وكرامة أفكاره ، واستهتر بماضيه وحاضره . ولكن بولونيا التي هزبتها الكوارث وأدبتها النكبات لم تقم للمناورات الألمانية وزناً ولم تعتبر قوة ألمانيا امراً فوق طاقة البشر كما أنها رفضت الاشتراك في مؤتمر موسكو على الرغم من الدعوة التي وجهتها إليها الدول المتحالفة الصديقة لها . وكانت بولونيا في موقفها على بصيرة ، ويعترف لها اليوم العالم كله منطلقها السليم في إدراك سياسة موسكو ونياتها أحسن من أية دولة أخرى . فنطلقها السليم هذا هو نتيجة لمقدمات الدروس التي تلقاها البولونيون من تجارب حياتهم المنسكوبة . رفضت بولونيا مساعدة البلاشفة التي اقترحتها عليها روسيا ، وجاء ذلك في تصريح مولوتوف نفسه ، وكما أنها لم تناقش مسألة مساعدة الحلفاء لها حتى في ساعاتها العصيبة بل اكتفت بالإشارة إلى معاهدة تربط لهاها والحلفاء .

تثور نفوس الأمم في ساعاتها العصيبة ، وبقيم تاريخها برهان مجدها وشرفها ، فتناقله الالسة ، ويخلد ذكراه الناس ، وحينئذ تتحكم هذه النفوس في مصير شعوبها وتسيطر على أفكارها الهائجة وعلى إحساساتها وقراراتها . نجما هذه القوة الكامنة في نفوس تلك الشعوب وتوجهها توجيها خاصاً . فاذا كان الأمر كذلك كيف كان للبولوني أن يلبى شيئاً آخر غير نداء الحق والشرف وهما الشيطان اللذان ثارت من أجلهما النفوس البولونية ؟ فاذا يستطيع أن يسمع هذا البولوني أمام هذه الصواعق الظلمة الهادمة لدولته غير بطولة وصيحات تتعالى من أنفاس دولة مزقتها كارثة مزمنة دامت مائة وخمسين سنة ١٩ أوليس الدافع الذي حمل الماريشال بيلسودسكي على النطق بمحلمته الخالدة القائلة : إن المغلوب غالب ما رفض التسليم ، وأولم ينشأ هذا من الكارثة البولونية الكبرى ومن التايخ البولوني العظيم ١٩ ومن أين استلهم الجيش

البولوني تدبير الاحتياط في حرب الاستقلال وهو الجيش الذي أقام صرح الجمهورية بعد أن حرر بولونيا ؟ فإذا كان العامل المؤثر على قوة الجيش البولوني حين انتصر على الجيش الأحمر عام ١٩٢٠ غير تاريخه وكرائمه ؟ أوليس الجيش المحارب اليوم هو نفس الجيش الذي تخرج في نفس المدرسة ؟ ماذا يتحكم في روح الجيش ، وفي أفكار رؤسائه وفي مصير بولونيا غير ذكريات الانتصارات التاريخية وعظمة البطولة وصيحات الأجداد التي تردد هذه الأوصاف الجميلة كلها ؟ ألم يضرب الجيش البولوني حتى في حدائته أروع مثال يهر به العالم كأنما أتى بمعجزة عجز غيره عن الاتيان بمثلها ؟ نعم ، زعم هتلر صحة ما ذهب إليه من تقدير القوة البولونية الظاهرة وقطع برأيه في إمكانية القضاء عليها عن طريق تسخير الملايين من جنوده ، وطياراته ، ودباباته ثم آمن بانتصاره عليها وبظفره الهائي . ولكن قوة بولونيا الروحية التي عجز عن إدراك معانيها هتلر ، مضافا إليها الغليان الذي يولد في النفوس الشائنة توجيهاً خاصة في مثل هذه الظروف ، وروح التاريخ البولوني ، والنتائج المبهرة التي تلي هذه التطورات الفكرية ستثبت لا تهتر وحده بل للعالم كله أن الإيمان أقوى من المادة والبطولة أشجع من القوة . أجل نسكرر لأن القوة والبطولة قد تقابلا على المسرح مرة أخرى ، ويعتمد القوى على مجموع جيشه ، وعلى عدد طياراته وما لديه من غازات سامة قاتلة ، وعلى إنتاج مصانعه الحربية ، وعلى مقدراته لقذف شعب بأسره إلى الموت كأنما هو أسيره الطائع الخاضع لا يعارض صاحبه ولا يدافع عن نفسه ، ولكن البطل الباسل على الرغم من قلة جنوده ، ومدافعه ، وطياراته ، وغازاته ، ومصانعه الحربية يسخر من الموت ويبتسم له ولا يخاف منه شيئاً ، إذ أنه يؤمن ببطولته ويعتمد على قوته الكامنة في نفسه ويعز شعبه الذي ينصب منه حاكماً على بلده ووطنه . ونحن نتساءل الآن أية جبهة ستضم إليها الدول العالمية ؟ وإلى أيهما سيضع الضمير الانساني قيمة وثمننا ؟ وأية جبهة منهما ستقال الشرف الأبدى ؟ إن أيدينا القوة وقبلنا مبدأ انتصارها على الحق فعلى العالم أن يرجع القهقري إلى القرون الوسطى وأن يستنكر إلغاء العبودية ، وانهباء نظام الاقطاعيات ، وقلب نظام الاستبداد وتبديله ، واحترام حقوق الانسان . و . و . الخ . لو لا نسلم في هذا الصراع تفوق الحق على القوة ونعتقد فيه تحم علينا أن نحكم بلا ارتياب أننا سائرون إلى الذل والفساد . آراؤنا نحن الأتراك في هذه المسألة قد عبر عنها تاريخنا أبلغ تعبير وأثبتت صحتها انتصاراتنا

أحسن إثبات . لو لم ينظر الأتراك إلى القوة باعتبارها أضعف من البطولة ، ولو لم يكونوا من مؤيدي هذه الفكرة بالذات لما ترعرع تاريخنا اليوم ، ولما ازدهرت الحضارة التركية بل وجدنا تركيا والأمة التركية قد أصبحتا أثرا بعد عين . دعنا نراقب ونحن مازلنا في بداية الحرب . لا الجيوش الجرارة حشدت أو عيئت ولا القوات الجبارة أظهرت نفسها في الميادين . ننظر قليلا . فلننظر حتى تبدأ حروب الميادين الكبرى . وأما الأمر الذي يلفت الأنظار ويستوقفها الآن فهو صمود أصغر وحدة بولونية وثباتها في وجه العدو في فستربلات بشكل يحير المرء . يقدم أعظم أمل في إمكانية تغيير مجرى الحرب فيما بعد . الأمة ، والوطن ، والاستقلال أمور ثلاثة تتمثل في الجيش أثناء الحروب بأجلى صورها وتحيا فيه ما بقي مؤمناً برسائله ، آمناً بدعوته . وقد يضطر الجيش البولوني بسبب الظروف المعسيرة المقبلة عليه أن يترك للعدو أراضيه وأن يغادرها إلى الخارج . فيجد العدو في نفسه شجاعة للزحف حتى فارسو ونخطها ، ولكنه مع ذلك لن يتمكن من وضع يده على بولونيا ولا الملك على مصيرها إذ أن بولونيا دولة تتمثل روحها في جيشها ويحيا الوطن فيه ، فروحها باعثة بجيشها ومصيرها مرتبط به ، فجيشها مركز تجتمع فيه الأفكار ، وتحدد فيه الأرواح ، وتتلأأ عين العالم بالنظرة إليه ، وجميع من لهم مقدسات يتمنون انتصار الجيش البولوني وهو أول جيش رفع لواء الثورة عالياً ضد الظلم ، وأخذ على عاتقه مهمة الدفاع . إن الله ينصر الجيش البولوني إنما ينصر الحق والعدل ويسر ذلك كل شخص يعتبر الحق والبطولة أساسا للحضارة ويؤمن بهما . ومن تردد في قبول هذا الأساس فليس هو إلا من أنصار رجال يسوقون الحضارة الانسانية إلى كوارث ونكبات . إن دولتي روسيا وألمانيا المسئولتين عن الحرب واللتين تعاديان الحرية والحق تسخران من شرف غيرهما سوف تعاقبان ولا شك بالقضاء عليهما قضاء مبرما . وأعتقد اعتقاداً جازماً انهما ستهانان بسبب الطرق التي سلكتاها في هذه الازمات العالمية الكبرى كآية قوة أخرى تناوى الحق ، وتغرقل سير التاريخ الطبيعي ، وتحاول تجريد العالم من معناه الانساني . ولو أراد العالم أن يطمئن على سلامته وأن يؤمن لنفسه صلحا شريفاً فلن يأتي إلا عن طريق استئصال الشأفة هتلرية في الغرب والبلشفية في الشرق ، لولا هذا لن يصل العالم إلى سلامه المنشود مادامت أسرته تضم هاتين الدولتين . لقد كان كرايسنسكي البولوني يقول في قطعة شعر له كتبها بعنوان « فليكن

ما يكن ، : فليكن ما يمكن ، وليحدث ما يحدث ، إلا أنى أعتقد فى شيء واحد وهو أن ساعة العدل آتية فى طريقها إلينا وستعود إلى بولونيا حياتها من جديد .
ونحن نقول فى دورنا أمام الحوادث ، فليكن ما يمكن ، وليأت ما يأت . . .
فإننا نؤمن بعقيدة راسخة فى انتصار الحق والبطولة .
إن انتصار الحق والبطولة لن يسر بولونيا وحدها ولن يسعددها فقط بل إنه سيعود على الإنسانية جمعاء بخير وهناء وسلام وسعادة .
تعيش بولونيا عنوان البطولة الفريدة والرافعة للواء الحق والمدافعة عن الشرف ويعيش جيشها الباسل القوى الشكيمة ، والمؤمن برسالته .

إنهات ألمانيا ونشرت فى أنحاء العالم كتب ومقالات كثيرة تبحث عن حقيقة الأسباب التى أدت إلى فشل الألمان فى روسيا ومنها ما كتبه المساجور جنرال غلاييش البولونى^(١) فى مقال طويل أخصه فى النقط السبع الآتية :

- ١ - كثرة الأمدى العاملة فى روسيا زادت من قوتها ولاسيما بعد أن شدت الدول الغربية من أزرها .
- ٢ - إطراد الزيادة فى الإنتاج وتموين الجيش المنتظم خصوصا بعد نقل المصانع عبر أورال بعيدة عن الغارات الجوية الألمانية .
- ٣ - التغير النفسانى الذى طرأ على الجيش السوفيتى بسبب بطولة قادة البلاشفة وبسبب معاملة الألمان السيئة للأقليات ولاسرى الحرب فى المناطق المحتلة وظهور العصابات خلف الخطوط الألمانية .
- ٤ - دخول الألمان فى الحرب الروسية دون الاستعداد لها على الرغم من تجارب نابليون السابقة واضطراهم إلى محاربة البلاشفة فى طقس بارد قارس فى مقاطعات واسعة الأطراف .
- ٥ - أخطاء هتلر فى السياسة والاستراتيجية ، مثلا تأجيل هجومه على روسيا إلى النصف الثانى من شهر يونيه ، بدء الهجوم على موسكو فى نوفمبر ،

تأجيل هجوم ١٩٤٢ الكبير إلى شهر يوليو ،
منع الجنرال باولوس من فك الحصار في ستالينغراد للتقهقر ،
عدم إقامة دول أوكرانيا ، ولاتفيا ، وليتوانيا ، واستونيا ، وروسيا البيضاء
بل القضاء على حكوماتها الجديدة ، وعدم السماح للبلاد المحتلة بإنشاء الجيش ،
والاكتفاء باستبدال قو الخوز الشيوعى بمنظمات ألمانية مماثلة تسمى « كورنكامر ،
و « لينسراوم » .

٦ — مساعدة الغرب لروسيا بصفة مستمرة إلى نهاية الحرب ، بينما تنزل ألمانيا من
متفقيها سوى ٣٣ فرقة عام ١٩٤١ ، وزيدت هذه المساعدة إلى ٦١ فرقة عام ١٩٤٢ ،
ونقصت إلى ٣٠ فرقة عام ١٩٤٣ .

٧ — سلبية موقف اليابان ساعدت ، روسيا عام ١٩٤١ على إنقاذ العاصمة بعد
أن جلب الروس الها قوتهم من الشرق الأقصى بحيث لم يبق فيه سوى ١٠ فى المائة
من مشاتهم ، بينما اضطر الألمان على ابقاء ٣٥ فى المائة من قوتهم فى الغرب ، .

وأما ما نشره المستر ليدل هارت باسهاب فى جريدة « فيغاروليتيرير »
الفرنسية بباريس وما جاء فيها بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٨ تحت عنوان « وثائق
انهيار الألمان فى الجبهة الروسية على لسان جنرالاتهم » فهم للغاية أيضا
وأخلصه فيما يلى :

« قام هتلر بهجومه على روسيا دون سابق استعداد سياسى أو عسكري مما أدى إلى
فشله الذريع فى هجومه الخاطف نظرا لطبيعة الاراضى غير المدروسة بحيث اضطر
الألمان إلى تغيير خططهم الحربية مرات فأخذ ذلك كثيرا تقدمهم المتوقع فى الحساب .
كان أحد هذه التغييرات التى أدخلت على الخطط الموضوعه مثلا ضرورة استعمال
الزحافات الميكانيكية بدل السيارات المصفحة التى كانت القيادة ارتكبت عليها فى
حساب الهجوم ، فالجيش الألمانى المنظم والمسلح بأحدث الأسلحة فى العالم عجز قاداته
الأقوياء فى مهتهم والضعفاء فى منطقهم عن الاستفادة من خبرة من خاض غمار
الحربين العالميتين من ضباطهم العظام . وصرح جميع الجنرالات تقريبا وعلى الأخص
فون كلودج ، و بلومنتريت ، و يودل ، وهالدر ، و براوتشيتش وغيرهم بأن الفيلد

ماريشال فون رونشديت كان أشدهم معارضة لفكرة هتلر وخطته وكان أول من أنذره بسوء العواقب بعد أن وجه إليه قوله التاريخي الآتي : « هل فكرتم جيداً فيما أنتم بادئون فيه ؟ » . ولكن الفوهرير لم يأخذ برأيه ولا بآراء غيره ، وكاشفهم بنية هجومه على السوفييت بمدة بسيطة قبل التنفيذ ، يعنى في فبراير سنة ١٩٤١ ، وطرح أيضاً على الجانب ذلك التقرير القيم الذى رفعه إليه الجنرال كوسترينج ، الملاحق العسكرى الألمانى فى موسكو ، عن مدى قوة الجيش السوفييتى ، وفى النهاية أمر هتلر جيوشه الشرقية بالانقضاء على الروس وبدأ هجومه التاريخى متوكلاً على قوته العسكرية وعالفاً أملاً فى أن الثورة بداخيلية روسيا قائمة ولا بد فدخل المعركة بمائة وواحد وعشرين فرقة مزودة بستائة زحافة مقابل مائة وخمسة وخمسين فرقة سوفيتية مزودة بألفين وأربعمائة زحافة فى قيادة الجنرال بودينى . كان الهجوم يفقد كثيراً من سرعته لطبيعة البلاد إذ أن هطول الأمطار لمدة ربع ساعة كان يكفى لحمل القواد على حشد قواتهم بالكثرة فى مركز واحد للسيطرة على الموقف » .

حطم هتلر الخطوط الروسية بشجاعة ، واندفع إلى داخلية روسيا حيث خاض غمار معارك جنوبية ، ثم دافع دفاع المستميت اليأس ، وفى آخر الأمر اضطر إلى الاعتراف بهزجه ، فتراجع بعد التقدم ، واختفى بعد أن جرت أخطاؤه الويل على بلاده وشعبه .

نعم ، فات هتلر وأعوانه القطار ، وانجرت الأمة الألمانية من بعده إلى ما تورطت فيه اليوم من مشا كل وصعوبات إنتقاماً من رجال هتلر لمن أعدموهم جماعات فى المعسكرات الألمانية المقامة فى أراضى السوفييت دون ذنب ولا لائم ارتكبه . كان ذلك موتاً وهذا موتاً ، ولكن مع الفارق العظيم بين موت الاسرى المسلمين الذين كانوا يسيحون فى وجه جلادهم الألمان مدافعين عن حقوقهم بأعلى صوتهم والدموع تسيل من وجوههم

المظلومة وبين موت روزنبرغ الذي أعدمهم بكل شجاعة وهم أسرى بين يديه
ومثل شخصياً أمام الحلفاء دور ضحاياه خائر القوى دون القدرة على أن يروح
سوى بكلمة « لا » التي ماتت بين أسنانه .

وليسكم أيها القراء الكرام مثل من أمثلة معاملة الالمان لأسراهم في
روسيا ينقلها إلينا من كتبت لهم الحياة بعد العيش في المعسكرات الالمانية
التي اقيمت في أرض الاتحاد السوفيتي المحتلة ولم تكن فظائعها أقل من
فظاعة المعسكرات الشيوعية الحمراء .

جنود مسلمون كثيرون لبوا نداء الالمان وقرروا إلقاء السلاح يوم
١٤ أكتوبر سنة ١٩٤١ من تلقاء أنفسهم وكان استسلامهم بكامل معداتهم
بجوار تاغنروك في الحروب الدامية التي دارت رحاها هناك . فما لبث أن
جردهم الالمان من كل ما يملكونه على عامهم السابق بأمرهم فساقوهم بعد
ذلك بدون طعام ولا شراب مسافة مائة وخمسين كيلو متر وبعد قطع هذه
الرحلة ماشين على الاقدام وجدوا أنفسهم يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤١ في
معتقل محصن بسياج من الاسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة وكان الالمان
قد اتخذوا هذا المعتقل من أبنية جامعة الهندسة والصناعات الثقيلة في مدينة
ماريوبول باوكرانيا . كان حينئذ في المعتقل إثنا عشر ألف أسير في حالة
يرثى لهم ، إذ لم يكن يقل عدد موتاهم يومياً عن مائة شخص وذلك لسوء
التغذية ، ونقص الخبز ، وانعدام الماء ، والاعطية ، والملاج ، والأطباء .

وفي شهر نوفمبر زادت الحالة سوءاً إلى درجة أن خمسة وعشرين أرمنياً،
 وخمسة عشر أوكرانياً، وثمانية تركستانيين أعدموا رمياً بالرصاص، لأنهم
 أكلوا لحوم إخوانهم الذين ماتوا في المعتقل جوعاً. وأما في شهر ديسمبر
 فوصل عدد الأسرى إلى خمسة وستين ألف أسير، نقل عشرة آلاف منهم
 إلى المعتقل الشيوعي القديم المسمى فوزوشيلوف ويقع على بعد عدة كيلو
 مترات من المدينة. ثم اشتدت الحالة سوءاً، وبدأ الجوع والمرض يفتكان
 بالأسرى فتسكا فظيماً حتى بقي من خمسة وستين ألف أسير ٣٥٠٠ شخص
 فقط، كان ٤٥٠ منهم مسلمين بقوا مع مجموعة الثلاثة آلاف وخمسمائة شخص،
 من ذلك العدد الضخم للأسرى الذين لقوا حتفهم في ذلك المعتقل الصغير بالنسبة
 للمسكرات الأخرى. وزار هذا المعتقل في شهر مارس سنة ١٩٤٢ مدرس
 بافاري برتبة اليوزباشي التابع لمدينة لينداو بادنسي واسمه ميلخيور بابتيست
 في مهمة تفتيشية فتألم لحالة الأسرى كثيراً ووعدهم بأنه سيحاول إفهام جهات
 الاختصاص الألمانية وإقناعها بحقيقة ما يجيش به صدور الأسرى وسلامة
 أفكارهم الإنسانية والقومية ووجهة نظرهم في أصول الحرب وتوجيه السياسة.
 ما كان الأهالي والأسرى السوفييت يطلبون من الألمان شيئاً أكثر
 من الاعتراف باستقلالهم ولومبدئياً، ثم تركهم أحراراً في تأليف جيوشهم
 ليحاربوا به الشيوعيين ويطردوهم بأسلحة موسكو نفسها دون الحاجة إلى
 عتاد ألماني. وكان زعماءهم الذين يتفاوضون مع الألمان يضيفون إلى ما يقولون
 إن القيادة الألمانية لو أنها تشك في أمرهم أو تخشى الأمن أو الاضطراب

في مؤخرة الجيش فليس عليها إلا أن تحتفظ بقواتها المسلحة في الاحتياط وأن ترابط وراء الخطوط مع احتلال النقط والقلاع التي ترى من صالحها احتلالها للاطمئنان على نفسها حتى تتأكد من حسن نيات الاهالي الذين يريدون تمزيق موسكو الشيوعية . ولكن النفس الالمانية أبت إلا أن تجهيمهم بأن ألمانيا ستستولى على الاتحاد السوفيتي بدماء الالمان الطاهرة النقية . وحقاً أمرت ألمانيا بتنفيذ ما قالت ، فامتثلت القيادة أمرها وانصاعت إليه ، ثم دُكت ، فأدركت حينئذ خطأها ، وعرضت على القرميين والاوكرانيين وغيرهم عروضها السخية ولكن هيهات ! فاتها الفرصة الذهبية ، إذ آثر الروس والاوكرانيون كفة الذل الروسى الشيوعى ما دامت ألمانيا لا تختلف في أساليبها عن الشيوعية ، فانقلب الشعور ضد الالمان الذين خيخوا آمال الشعوب المستعبدة في الاتحاد السوفيتي ، ومن هنا تولدت فكرة المصائب ، وكانت مصدراً من أهم مصادر القوة الشيوعية التخريبية التي كانت تقوم بنشاط كبير فيما وراء الخطوط الالمانية وتذيق الجيوش الالمانية النظامية الامرين .

وبالعود إلى القضية القرمية كانت معاملة الالمان للقرميين من نفس الطراز الذى عاملوا به الشعوب الاخرى في مناطق الاتحاد السوفيتي المحتلة . عبرت القوات الالمانية المسلحة حدود القرم يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١ إثر مهاجمتها خلال اورقاني « بيريكوب » ، ولم يرغب الالمان في الاعتراف بحقوق القرم ، وعارضهم لذلك أهلها في الداخل والخارج ، وانتقدوا سياسة الدولة الالمانية أشد الانتقاد دفاعاً عن وطنهم القومى ، وكان الامر المير

تجاهل الالمان لهذه الجزيرة ولتاريخها الاسلامى الحافل بالبطولة ناسيين أن أهلها ظلوا نافرين ضد الروس منذ أن وطئت أقدام هؤلاء الاخيرين اراضى القرم . داست أقدام الالمان ارض القرم وفكرة تجريدها عن أهلها مختصرة فى أذهانهم وقد أنذرهم مراراً زعيم القرم حضرة صاحب المعالى جعفر سيد أحمد قريم بسوء عاقبة معاملتهم الخاطئة والمائلة لتلك التى صدرت منهم إبان الحرب العالمية الاولى ووقعت فى شركها المانيا نفسها إلا أن الدولة المتهترية لم تقم للعدل أى وزن فمضى رجالها فى أعمال حفر القبور لغيرهم فما لبثوا أن وقعوا هم فيها بأنفسهم .

يقول ريموند كارتير فى كتابه (١) د . . . هناك وثيقة جدمهمة ورقمها ١٠١٧ ب . س . ، تحتوى على كلام هتلر الذى يكشف الستار عن الطموح الالمانى كل الكشف . قال هتلر إن واجبنا يقضى بأن نعرف غاياتنا جيداً وبألا فنشر عنها شيئاً . يجب أن نعمل كما عملنا فى نرفيج ، ودمرك ، وبلجيكا ، وهولندا وسنعلن للناس أننا مضطرون للاستيلاء على هذه البلاد وإدارتها لنقيم الأمن فيها . ونتذرع فى عملياتنا بكون الاستيلاء لصالح الشعب ، إذ أننا نسهر فى بلادها على الأمن والنقل والتوطين وسنظهر أمامهم بمظهر المخلص المنقذ ، وكما يجب ألا يعرف أحد شيئاً عن أسرار الخطط النهائية وذلك لا يمنحنا من أن نأخذ أيضاً الاحتياطات اللازمة لنفى المعارضين وإعدادهم . وسنعمل فى هذه البقاع كما لو كنا نطالب أهلها بحمايتهم لا غير مع عرضنا الاكيد أننا لن نجلو عنها فيما بعد . ويجب علينا قبل كل شئ أن نطمئن تماماً على كيان ألمانيا العظمى ، لذلك لن نسمح فى المستقبل بأن تقوم غربى اورال قوة عسكرية لمدة مائة سنة . كما يجب أيضاً أن يعرف خلفائى من بعدى أن ألمانيا لن تسلم من الخطر إلا إذا نفذت هذه الفكرة ، فبدأننا هو ألا يحمل السلاح غير الالمان ولو أدى الأمر إلى تجنيد من فى حكمتنا ، فأبناء الالمان وحدهم الذين يجب أن يحملوا الاسلحة لالسلاف ولا القشـيك ولا

(١) د أسرار الحرب التى كشفت عنها محكمة نورمبرغ ، س ٢٧٦-٢٧٧ المطبوع فى باريس .

القوزاق ولا الاوكرانيين .

ثم عدد هتلر البلاد التي سيمسحها عن الوجود فقال عن القرم : « إن القرم يجب أن تنظف من أهلها باحلال الالمان محلهم وتصحيح جزأ من أرض المانيا » .

كان الموقف القرمي عام ١٩٤١ مراً ، عصبياً ، مبكياً . تحولت البلاد كلها إلى شعلة نار يتقهقر تحت ألسنة لهبها الجيش الأحمر صوب آقيار « سباستوبول » الشهير بحصونه المنيعه ، وصوب شبه جزيرة كرتش دون أن يترك وراءه سوى الخراب والدمار والنار بقصد حرمان الجيش الألماني الزاحف من كل شيء إلى درجة أنه لم ينبج من هذه الحمجية الروسية حتى المستشفيات الغاصة بالجرحى والآمنة المصونة في عرف الدول ، وقد أحرقوا مثلاً من ضمن المستشفيات الكثيرة ومستشفى قاراصو بازار الكبير وفي داخله الجرحى بسكب البترول بعد أن مسحت الشيوعية من قلوب الروس مفهوم الانسانية والرحمة والشفقة . كان الروس أثناء تقهقرهم يجبرون الأهالي على الجلاء معهم إلى القوقاز ، وايديل — أورال ، ثم يكرر الالمان نفس العمليات معكوسا ، فاضطر الشبان للالتجاء إلى الجبال بمعداتهم الكاملة ، ثم عادوا إلى مساكنهم ليجثوا بين أطلالها عن أهلهم وذويهم ، فما كان من الالمان إلا أن يعقلوهم ويزجوا بهم في أعماق السجون كرهائن على الطريقة الروسية الشيوعية نفسها ، ولو قتل أحد من الجنود الالمان في قرية أو مدينة أو في أى مكان خلف الخطوط كان القائد الألماني يدخلها ليأمر أهلها نساء وشبابا وأطفالا وأحدانا وشيوخا بالوقوف صفوفا ليجتار القائد من بينهم

عشرة أشخاص أو اثني عشر شخصاً عن كل جندي ألماني قتل ، ثم يأمر جنوده بخلع ثيابهم وتصفيهم وراء بعضهم أمام حائط ويأمرهم بإطلاق الرصاص عليهم من الخلف هائجاً وصائحاً على مشهد من أهل القرية أو المدينة « بأن الرصاصة خسارة فيهم » ، وبعد تنفيذ الإعدام يلتف الضابط إلى الأهالي ويأمرهم بدفن الموتى تحت الحائط دون إجراء المراسم الدينية .

تصور معي ، أيها القارئ الكريم ، أن إنكاراً وإهانة وإعداماً كانت الجائزة الألمانية المقدمة إلى القرم المجاهدة في سبيل إسترداد حقوقها والتي أعلنت الحرب على الدولة القيصرية والشيوعية قبل أن يملأها الألمان بزمن . لم يكن في القرم من مسلم واجه الألمان بسوء أو إغتال جنودهم ، والله أعلم سميع بصير ، لأن التوصيات الصادرة إلى الشعب ، من زعيمه المبقرى جعفر بك بعدم خلق أسباب من طبيعتها أن تشوه سمعة البلاد أو أن تحتك بالقوات الألمانية ، كانت محل تقديس القرميين كباراً وصغاراً ، فكل ما حدث من سوء إنما حدث إما بفعل الألمان أنفسهم أو بفعل الكوماندوس الروسى الشيوعى أو بفعل قرمى يئس الحياة إثر إهانة غير مفعورة إرتكبها الألمان ضده أو ضد أسرته أو ضد قومه . ولشرح الحالة سأسرد على القراء الكرام أربع وقائع من جملة حوادث كثيرة خلدها الألمان في القرم أثناء الاحتلال .

حدث في صبيحة إستيلاء الألمان على شبه جزيرة القرم ، إلا جزءاً

منها، أن وجد أحد جنودهم الثلاثة قتيلا في قرية «ماماشاي» الواقعة على ضاحية من ضواحي مدينة باغجة سراي . فطير الخبر إلى مركز القيادة الفرعية في المدينة ، وحضر إلى مقر الحادث ضابط ألماني عبوس برتبة الماجور ، وأمر سكان القرية بالتجمع في ميدان من الميادين العامة ، وانصاع الناس إلى أمر الضابط ، وفي موعد محدد تم حضور السكان جميعاً دون التخلف ثم أمرهم الضابط بالوقوف صفوفاً ، وما لبث أن مر بها حتى اختار لثني عشر شاباً من أقوى فتيان القرية ، وأمرهم بخلع ملابسهم ، وتصفيهم وراء بعضهم أمام حائط ، وبعد تنفيذ الإعدام أمر الأهالي بدفنهم تحت الحائط وردمه عليهم وقال لهم معقباً على فعله الشنيع : « هذا جزاء من يتشجع في قتل الجندي الألماني ، وإياكم أن تكررُوا الحادثة فإني سأحرق القرية عن بكرة أبيها » . وانصرف حائداً إلى مركز القيادة من حيث أتى .

عاد أهل القرية إلى منازلهم متألمين غاضبين ، وأخذ تحقيق القيادة مجراه من المدالة في الأيام الثلاثة التالية ليشهدوا الضابط نفسه موفداً إلى القرية من قبل القيادة العليا لتقديم عذرها عما حدث وتمزية أقارب المتوفين باسمها وذلك بعد أن ثبتت للقيادة أن الجندي القليل لقي حتفه على أثر طغنة قاضية تلقاها من أحد زميليه اللذين كانا يجالسانه أثناء مشادة حادة قامت بينهما أثناء لعب الورق ، قدم الضابط اعتذاره للقرية على لسان القيادة مع بيان أسفه الشديد وحزنه العظيم وندامته الكثيرة على ما صدر منه

قبل التحقيق ، وأذن لها بنبش التراب حتى تستخرج جثث المتوفين الراقدين وتدفنها حسب طقوس دينية كما تأمر بها تقاليد الاسلام في القرم ، ولكن القرية اكتفت بتقبل المذر مع العتاب وأضافت قولها بأن « المتوفين سيقدون إلى الأبد حيث هم الآن ، إذ أنهم دخلوا في عداد الشهداء ، وضمهم أرض القرم إلى صدرها الحنون » .

وأما الحادثة الثانية فأسردها على ضوء واقعة من الوقائع الماثلة الكثيرة الأخرى التي عمت البلاد القرمية . وقعت هذه الحادثة في مدينة كوزلوه عقب الاغتيالات التي قام بها رجال الكوماندوس الشيوعى الذين هجموا على المدينة من جهة البحر ليلة نجاح البحرية الشيوعية في إنزالهم إليها فقامت معركة حامية الوطيس كان يخشى جانبها الألمان وأسفرت عن القتلى واختفت القوة الألمانية وتوارت في الظلام وتراجع رجال الكوماندوس الشيوعى قبل الفجر إلى قواعدهم بعد أن ارتكبوا فظائعهم واغتيالاهم ، وبعد قليل وصلت إلى المدينة قوة ألمانية كبيرة حاصرتها من كل جانب ، فسلطت عليها عند الشروق كتائبها تحصد رجال المدينة دون تمييز ولا تفريق ، وبعد أن علمت انسحاب العصابات وابتعادها عن المدينة أمرت بوقف إطلاق النيران وإعادة السكون فيها على أن يتجمع سكانها جميعا في ميدان يقع بجانب القبور في ضاحيتها الشمالية ، واضطر الأهالى المساكين الذين تملكهم الذعر أن يذعنوا إلى أمر القيادة فتجمعوا في الميدان حيث أعدم عشرة أشخاص عن كل قتيل ألماني ، ثم تكررت هذه الحادثة وبدأ الشبان أن

يهربوا إلى الجبال ويعتصموا بها ، يكرهون الشيوعيين ويمقتون الألمان ، ولا سيما بعد أن عزم هؤلاء الأخيرون التثكيل بسكان المدينة بأساليبهم التي قضوا بها على اليهود في القرم واوكرانيا ، ولتمت جنائهم هذه لولا قدر الله ولطفه إنجلي في اللحظة الأخيرة إذ أن القيادة الألمانية في القرم تلقت أمراً بالسكف عن التثكيل بالاهالي المسلمين ولا سيما أنهم أظهروا استعدادهم للتعاون مع ألمانيا ووعدوها مساعدتهم في انتزاع سباسطوبول ومنطقة كرتش من يد الشيوعيين الذين أذاقوا الالمان عذاب الجحيم في هاتين المنطقتين .

وأما الحادثة الثالثة فأشرحها على ضوء واقعة من الوقائع الالمانية التي حدثت دفاعاً عن الشرف وذوداً عن كرامة الوطن ، فهي وقعت كرد فعل مباشر لاهانة ارتكبها جنود الألمان ضد شبابين في مدينة آلوشتا . شباب من فحول آلوشتا استحققهما الألمان ، وهزوا بهما عندما واجهاهم بالحقيقة المرة السافرة عن اعتدائهم على النفوس البريئة من أهل الوطن . تركت هذه الاهانة أثراً في نفسيهما ، فما كان منهما إلا الهروب إلى جبال القرم والاعتصام بها حيث أسرهما رجال المصابات الاوكرانية واستجوبوهما فقص عليهم الشبان قصة الاهانة التي ألحقها الألمان بهما حين اعترضوا عليهم ، فتمخضت عن ذلك مناقشة حادة حول حقوق القرم وأهلها ، أدت هي مضافاً إليها المسألة الأولى إلى ضربهما ، فلم يجدوا بداً من اللجوء إلى الجبال والالتقام لها . لم يصدق رجال المصابات في بادئ الامر كلام

الشابين وللاستوثاق من أمرهما كلفهما رئيس العصابات بنسف مبنى سينما
 ألوشتا المتين على أن تتم عملية النسف في الليل أثناء العرض الثاني لأنه كان
 خاصاً بضباط الألمان وجنودهم وساستهم المدنيين . فزود الشابين بما يلزم لهما
 من أسلحة ممتازة والقنابل اليدوية ، وفي جذر واحتياط تسللاً إلى أسوار
 المدينة في جنح الظلام يراقبهما رجال العصابات ، فنجحاً حسب الخطة
 المرسومة في الصعود على سطح المبنى ولبثا منتظرين ساعة العرض السينمائي
 المطلوب . ولكن الاجل حين تأتى الساعة لا يتقدم لحظة ولا يتأخر ،
 فكشف مراقب دار السينما أمرهما بعثوره على رصاصة روسية سقطت من
 أحدهما عفواً دون أن يحس بسقوطها صاحبها على الممر الواقع بين الكراسي ،
 ثم أبلغ الأمر إلى مدير السينما وهذا اتصل بدوره حسب التعليمات التي عنده
 بمجئات الاختصاص المطلوبة فأسرع رجال الألمان لمعاينة المكان الذي
 وجدت فيه الرصاصة بينما كان الشابين يراقبان من أعلى السطح ما يدور في
 داخل المبنى بكل جلد وصبر وشجاعة إلى أن كلف أحد الألمان بالصعود على
 السطح لمعاينته . وهم هذا بامتثال الأمر فاذا به يهوى على الأرض جثة
 هامة بفعل رصاصة استقرت في نفسه ، فأمر الثاني والثالث بالصعود ولم
 يكن حظهما أقل نكبة من حظ الأول ثم ما هي إلا بضع دقائق حتى حاصرت
 قوة مسلحة المبنى فخرج الشابين بمض جنودها من مكمنهما في أعلى السطح
 وأخذوا يصيحان في وجه القوة الألمانية بسخرية ووعيد وضرب النار على
 كل من يتقرب إليهما ونسف الدار بما لديهم من كفاية الديناميت والقنابل

والرصاص لو أن رجال القوة الألمانية حاولوا دخول المبنى أو الصمود على سطحه . وقالوا إنهما سينتقمان منهم لهما جزاء ما اقترفت يد الألمان من اعتداء صارخ ، وكانا يضيفان إلى ما يقولان إن الألمان مسئولون مثل غيرهم عن جرائمهم في القرم ، وظلا يندشنان في رجال الكتيبة وينذراهم بين حين وآخر بقنبلة يدوية ، لذلك لم يستطع أحد من الألمان القرب من المبنى ولا الفلاح في الصمود على سطحه ، وحاولوا إنزالهما منه والقبض عليهما أحياء بالقاء القنابل المسيلة للدموع ، غير أنهما بقيا عليه كشوكتين في حنك القوة المحاصرة إلى أن استقر الرأي على نصب أحد المدافع المضادة للدبابات على تل مشرف على المبنى ودكهما به ، ولكن الجنود لم ينجحوا ولا في عملياتهم هذه ، وبعد أن زاد الموقف تحرجا ويئسوا من القبض عليهما قرروا إحراق المبنى عن آخره ، وتمكنوا من سكب البترول فيه تحت ستار الضرب المتواصل من كل جانب ونفذوا ما فكروا فيه ، ولكن الشاين ظللا يجاوبانهم بالمثل فاحترق المبنى عن آخره ورثى أحدهما يقوم من مكانه المشتعل نارا لا يتخذ له مكانا آخر للمقاومة ، وأخيرا احترقت جثتهما احتراقا فتحوّلتا إلى الرماد ، ولم يبق منهما سوى العناصر الحديدية لما كانا يحملانه من مسدس وذخائر مستنفدة .

وهنا حادثة رابعة أيضاً تصور مساواة معاملة الألمان لأهل القرم بتكليفهم بجر عربات كانوا يركبونها من مدينة كفه «فيودوسيا» إلى قاراصوبازار وأحلهم محل الحصنة وكانوا يضربونهم بسياط أو مقارع في حالة

امتناعهم أو تباطئهم في القيام بأداء هذه الخدمة المستبكرة . وبعد وصول الضباط إلى حيث يريدون كانوا يدخلون منزلاً يحاول صاحبه إكرام ضيوفه الضباط قدر طاقته فيضعي بفرخة وحيدة كانت كل ماتبقى له من عهد الشيوعية فإذا به يجازي من قبل ضيوفه المكرمين الذين يلتهمون الطعام المقدم إليهم بصفحة مؤلة تسأله كيف أنه جرؤ على ذبح الفرخة دون أخذ رأى القيادة فيها ؟

هذه هي وقائع أوردتها على سبيل المثال وهي تصور معاملة الألمان للشعب القرى المظلوم ؛ هذه هي تصرفات قيادتهم العامة ولو أنها غيرت سياستها بعد فوات الأوان . ومثبات من الحوادث من هذا النوع أثبتت أن هتلر شن حرباً جشعة على إمبراطورية ظلمة دون سابق استعداد سياسى ودون دراسة القوة النفسية والسرية الكامنة في صدور العناصر التي تتكون منها الامبراطورية البغيضة المراد القضاء عليها .

لم يشن هتلر الحرب على الشيوعية فقط بل أنه شنّها أيضاً على الشعب الرومى الذى تتولد منه مشاكل أوروبا الشرقية والجنوبية ، ومع ذلك كان غريباً منه أن يأتي الروس على يده ممتازين في الترتيب الجنسى على صدر قائمة درجات الأجناس في الاتحاد السوفيتى ، بينما وضع الأتراك المسلمين الذين يزيد عددهم على ثلاثين مليون نفس في الدرجة الخامسة ، ونالت ألمانيا لقاء ذلك من الروس طعنة قاتلة في ظهر جيشها المتقهقر ، في حالة أن المسلمين القرميين وغيرهم أخلصوا لها وساعدوا الجيش الألماني على مرارة الحوادث

والمعاملات المرة التي لاقوها من القيادة الألمانية في بلادهم واستعملوا كل ذلك لصدق جهادهم ضد الروس والشيوعية اللعينة ، وأخيراً أدرك هتلر ورجاله خذلانهم ، كما أثبتت تصريحات ضباطه الكبار ظاهرياً للقرم والقرميين عند ما شاهدوا في الميادين إخلاص جيش القرم وتقائى شعبها في الدفاع عن كل شبر من أراضيها إلى أن اعترفوا نادمين أن ألمانيا ظلمت القرم والقرميين .

والألمان في أوائل زحفهم إلى القرم في ٣ نوفمبر ١٩٤١ تقدم جيشهم صوب الجنوب بسرعة ثمانية عشر كيلومتراً في اليوم ثم ما لبث أن هدأت سرعة هذا الزحف عند مابدأت المقاومة الشيوعية اليائسة — وكثيراً ما كان اليأس مصدر القوة — فصدها الروس كل هجوم ألماني بمدار تكاثرهم على خطي آقيار «سباسطوبول» — كرتش مدة ثمانية أشهر ولم تنزع، ولا سيما مدينة آقيار المحصنة إلا على أسنة حراب جيش التطوعين القرميين الذين دخلوا المدينة في مقدمة الجيش الألماني الزاحف وقد كافأهم القيادة الألمانية لبسالته الممتازة ، التي أظهرها في معارك الميادين والشوارع والمنازل ، بتقديمه نياشين البطولة كما أهدت إلى قيادته علماً قومياً أرفعه على قيادتها العليا . حارب القرميون الملة الروسية الشيوعية بمرارة لا توصف إلتقاماً لشهائهم الذين سقطوا في الجهاد وضائق بهم أرض القرم على رجبها ، وبذلك قطعوا أيضاً دابر المصائب التي كانت ترعب القيادة الألمانية لا سيما في هجماتها الليلية ، فلم يفلت من أيديهم أحد من جنود الكوماندوس الروس الذين أنزلتهم

البحرية الروسية بالكثرة مرتين في كفه ثم في كرتش وبعد ذلك في صوداق في قترات متعددة . وحدث أن أنزلت مرة في صوداق ما يقرب من ١٠.٠٠٠ آلاف فدائي في باخرتين حرييتين روسيتين فاصطادهم المتطوعون القرميون باستدراجهم إلى الشاطئ اصطادا لم يفلت من الفدائيين إلا عدد يعد على الأصابع مما حمل ستالين ومنياريف على إصدار منشورات مختلفة ولكم مقتطفات من بعضها .

قال ستالين في أحد منشوراته في شهر مارس سنة ١٩٤٢: «أيها القرميون ! كفوا عن القتال ، فنحن سوف ننتصر ، ويذهب الألمان إلى ألمانيا مغلوبين ، ويهرب الرومانيون إلى رومانيا مهزئين ، فإلى أين ستذهبون أنتم ؟ » . وجاء في منشور آخر له : « نرجو ألا تتعاونوا مع الألمان ، فمن يتعاون معهم إنما هم كلاب مثلهم » .

ثم قال في منشوره الأخير عند مالمس فداحة الخسارة بين رجال القصابات الأوكرانية الذين اصطادهم القرميون وأبادهم في صوداق ، وقايسقور ، وآيسهريس ، وشيلن ، وآريبات : « أيها القرميون ! إن الدولة السوفيتية تطالب منكم بقاءكم على الحياد . فرجاؤنا ألا تماربوا رجالنا . لولا أنتم ، أيها القرميون ، نحن على استعداد لاسترداد القرم في بحر أيام قلائل » .

وكان رد الشعب القرمي لستالين في هدوء واتزان : « نحن شعب قرمي إسلامي ودرسنا الروس على دماء شهدائنا وأبريائنا طيلة الاستعمار

القيصري والشيوعي ، فأنت ياموسكو ! أيتها الجائرة التي طالما أزهقت
أرواح أبناء القرم الذين طالبوا بحقوقهم فنالوا لذلك منك المذاب ، وكيف
لنا أن نسلم إليك رقابنا من جديد ؟ ١١٢ »

وهكذا تخلصت الحياة في القرم عام ١٩٤١ من الظلم ، وتنفس الناس
الصعداء بعد القضاء على النظام الشيوعي اللعين ، وبدأوا بفتح المدارس
والمساجد المحولة سابقاً إلى أندية وسينما واصطبلات خيول ومخازن ومراقص
بيد أن التحول في مجرى الحرب بعد معركة ستالينغراد وبدء الزحف الروسي
المضاد صوب القوقاز أضاعت على القرم استقلالها من جديد ، فحارب أبناءها
دفاعاً عن حريتهم وذوداً عن كرامتهم وشرفهم ووطنهم المقدس ، وواصلوا
الجهاد مهما كانت العواقب ، وأخيراً اضطر الجيش القرمي المتطوع إلى
الانسحاب وهو يدافع عن كل شبر من أرض القرم ، فسقطت آقيار
(سباسطوبول) في يد الروس يوم ٩ - ٥ - ١٩٤٤ كآخر حصن قرمي
بعد معارك دامية حامية الوطيس ، وتراجع جنودنا خلال رومانيا ، والمجر ،
وتشيكو سلوفاكيا ، والنمسا ، إلى بافاريا وهم يحاربون الروس بمجد الجنون
ويدافعون عن أراضي الألمان بل ويستبسلون أكثر من الجيش الألماني
نفسه بينما لم يفت قواد الألمان خيانتهم مثل ما حدث في معركة دارت رحاها
على ضفة الدانوب بالقرب من بودابست حيث وقف قسم من الجيش
القرمي يصعد هجمات الروس فاحتاج للذخائر وطاهاها من المجاور شتاتل
القائد الألماني المسئول وهذا بدلا من تموين القوات المحاربة واسعافها

منع الجنود من استعمال قنابلهم ، وعندما استوضحوه الأمر أجاب
 إجابات واهية ثم لم تمض بضع ساعات حتى أحضر إليهم خراطيش تبينت
 عند استعمالها أن رؤسها كانت من خشب ، وقد أثار هذا غضب المقاتلين
 وحمل رياة الجيش القرمي على الاحتجاج المرلدى جهات الاختصاص
 فى الدولة ، فندب هتلر على أثر هذا ضابطا برتبة اليوزباشى لاجراء التحقيق ،
 فقام الضابط بواجبه خير قيام ورفع تقريره إلى رئيسه وأثبت فيه صحة
 ماجاء فى الاحتجاجات القرمية ولكنه مع الاسف مات بعد أيام مسموما لاشك
 أنه ذهب ضحية الما جور الظالم. ثم أمرت قيادة هتلر الجيش القرمى بالانسحاب
 إلى الخطوط الخلفية فى بافاريا واستدعى الما جور للتحقيق إلا أن بدء انهيار
 ألمانيا حال دون توقيع العقوبة عليه وهرب فى الآخر إلى شمال إيطاليا حيث
 لقي حتفه على أثر طعنة سكينه نالها من يد غادة ايطالية حسناء .

وأخيرا انهارت ألمانيا الهتلرية ودفنت معها آمالها التى داعب خيال
 رجالها ردها من الزمن ، وفضل جنودنا أسوة بالجنود التركستانيين ،
 والقوقازيين ، وايدىل — اورالين الاستسلام للانجليز والفرنسيين
 والأمريكان الذين سلموا القسم الكبير منهم أثناء المهرج والمرج إلى جلايدهم
 الروس على الرغم من مخالفة هذا الأمر لقوانين المدل الدولى. ولقد احتج
 زعيم القرم ورئيس اللجنة العليا جعفر سيد أحمد قريم على تصرفات
 السلطات الأوربية أشد الاحتجاج ، وأمرنى بتاريخ ١٦ يونيه سنة ١٩٤٥
 بأن أسرع فى مخاطبة رجال الدولة المصرية ودول الشرق الاوسط لاجتاد

مأوى للاجئين القرميين وغيرهم من مسلمي الشمال مع إيفاده البكباشي
 حسين كوموز الشر كسي بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ مندوباً خاصاً عن اللجنة
 العليا لمساعدتي . فما كان منا إلا أن نلجأ إلى مراحم جلالة الملك فاروق الأول ،
 كما اتصلنا برجال مصر العظام ، وتقدمنا إلى دول الشرق بطلب إيواء جنودنا
 اللاجئين مع رجائنا أن يخفوا لاغاثة هؤلاء البؤساء الذين كانوا يسلمون
 لجلاذيم الروس جماعات ، فاحتجت من حسن الخط بعض الجمعيات والأوساط
 وإن جاءت احتجاجاتها متأخرة . لدى هيئة الأمم ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وأمريكا
 وسويسرا ، وفاتيكان ، وعزز كل ذلك صرخات لجنتنا العليا بوقف التسليم
 وقد أوقف التسليم فعلاً نحو أواسط ١٩٤٧ ، ولكن يالأسف لم يكن
 حينذاك قد بقي في أركان أوروبا سوى مايزيد على ستة آلاف لاجيء سوفيتي
 مسلم ! إذ مات الكثير من عددهم البالغ قرابة أربعمئة ألف شخص في ١٩٤٣ في
 الميادين ، أو وقعوا في الأسر فايبسوا ، أو سلموا قهراً لغاية ١٩٤٧ أو انتحروا
 في معسكرات أوروبا أو في أديرتها بطرق تذيب القلوب وتدمع العيون .
 وبهذه المناسبة لا أحب أن أمر دون أن أذكر ، ولو باختصار ، أنه
 من مفخرة الاسلام أن نجد في مصر فضيلة الأستاذ محمد عبداللطيف دراز
 يدوى صوته في قاعة البرلمان في الرد على خطاب العرش عام ١٩٤٥ مدافعاً
 بكل حماسة وشجاعة عن حقوق القرم وعن اللاجئين السوفيت في أوروبا .
 وذلك بعد أن أعلن في نشرة خاصة ندائه إلى ضمير الشعب المصري النبيل
 وإليك نصه :

و المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، حديث

و إلى ضمير الشعب المصرى الكريم

إليك نرفع نداءنا أيها الشعب العزيز ، وعلى ضميرك الحى الحساس لمعقد الآمال فى أن يستجيب عظماءك ونبلاؤك ودولتك لهذا النداء المحزن المترجم عن أنات الأمهات وصرخات الأطفال وعن حيرة من طوح بهم القدر من الأبطال الذين جاهدوا فى سبيل الله ثم اضطروا إلى الهجرة . إن إخوانكم القرميين ومن معهم الذين ذاقوا مرارة الحكم القيصرى والشيوعى والذين تكبدوا مآس لا يحدها الوصف ولا يحيط بها اللسان لمن أعظم المجاهدين ظلوا يقاومون الروس الطغاة ويستذكرون مظالم الشيوعيين التى تزيد حداثها على مر الأيام وراء ذلك الحائط الذى صبغت جدرانها بدماء الأبرياء . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً .

إن إخوانكم فى القرم وفى البلاد الاسلامية الأخرى فى روسيا لا يجاهدون لانقاذ أنفسهم خشب بل يجاهدون فى نفس الوقت ومن أجلكم لا يقف التسرب الشيوعى والتعصب الروسى الأمران اللذان يفتكان بالحياة والدين فتك الذئاب الجياع بغرائسها . وليس أدل برهان على جهاد مسلمى روسيا الصادق من التاريخ الذى كتبوه بدمائهم ومن الهجرة التى قام بها القرميون خاصة إلى جهة تركوا تعيينها لهم فراراً من الطاغين كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم . وما أشد تأثر المسلم وانفعاله عندما يسمع أن الشيخ شامل أحد زعماء مسلمى روسيا الذى عاهد الله أن يوقف زحف الروس إلى بلاده فوقف ينازعهم نزاع الأبطال أكثر من ٢٥ سنة ولما غلبه القدر وتعذر الصمود ناجى ربه إذ قال : « يارب إئتني قد جاهدت فى سبيل محمد رسولك الكريم . فالطف بى فى آخر عمرى حتى ألبى دعوتك بجانيه ، وقد استجاب الله دعوته ومات فى المدينة ودفن فيها بجانب زعيمه محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا مثال من الأمثلة الكثيرة العديدة التى ضربها الشعب الإسلامى فى جهاده ضد الروس . ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون .

وهاكم مجاهدون من أبنائه . انظروا تروا جيشاً قرمياً كاملاً هجر بلده العزيز دفاها عن حقه . وهاكم جيش المدنيين ذكوراً وإناثاً ، أطفالاً وشيوخاً أى إلا أن يلتحق

بالعسكريين ويجاهد في صفوفهم بدون أقل تردد أو تشاؤم ، وكل هؤلاء آثروا الموت أو الهجرة بدلا من الاذعان للحكم الروسى الفاسد ، وهاكم أبطال العقيدة الاسلامية في عصرنا الحاضر ضربوا لنا فيها المثل الاعلى وعلى التاريخ أن يسجله . إن هذه الطائفة الممتازة التي رسخ في نفسها الاسلام لجديرة بأن تنال حقها الشرعى في الدنيا والآخرة . وقد وجب على الامة المصرية الكريمة البارة أن تسرع من جانبها على رأس البلاد الاسلامية الاخرى في مساعدة هؤلاء المهاجرين القرميين وغيرهم الذين بقوا في أوروبا تحت رحمة الكنيسة في إيطاليا وألمانيا مساعدة مالية وأن تؤلف لجانا خاصة من أبنائها المسلمين الكرام تسمى لايجاد مأوى لهم في أرض لاتقع تحت النفوذ الروسى . إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .

وهؤلاء القوم أدوا في الواقع واجبهم على أكل وجه ثم هاجر من استطاع منهم ليتابع جهاده في الخارج . والآن قد بقى علينا أن نمثل دور الانصار الكرام في مدمهم بالمساعدة المالية والسياسية بحيث نطلب حكومة وشعبا من السلطات الانجليزية والامريكية لكيلا تسلمهم إلى الروس أعداء البشرية ونحس المدنية . ونحن يامعشر المصريين لو أديننا هذا الواجب الانسانى فقد شاركناهم في محنتهم ولعل الخير القليل يكون السبب الاول في مواصلة الجهاد والكفاح والظفر الاسلامى . دها أتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قرماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم . . دوما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأتم لاظلمون .

محمد عبد اللطيف دراز

سنة ١٩٤٥

السكرتير العام للجامع الازهر والمعاهد الدينية

وعضو مجلس النواب المصرى ،

وقد أقيمت في مصر « لجنة لإغاثة المسلمين المشردين في أوروبا » بلفئة ملكية كريمة وكاف سعادة كامل بك عبد الرحيم وكيل الخارجية والمسلم الفيور بإقامتها من كرام الرجال في أوائل ١٩٤٦ ولكنها لم تسر سيرها الطبيعى الحازم

أمام الصعوبات المختلفة الكثيرة ومنها المشكلة الفلسطينية إلا في أواسط عام ١٩٤٧ عند ما أذن جلالة الملك لحضرة صاحب المجد النبيل مهرو إبراهيم بتولى رياستها ، وسمحت وزارة الشؤون للجنة بجمع التبرعات ، فوصلت بفضل الرئيس النبيل إلى تسعة عشر ألفاً وسبعمائة وخمسة جنيهات مصرية صرف نصف هذا المبلغ في سبيل الهدايا المرسلة إلى اللاجئين في أوروبا ، ورصد الباقي للصرف منه على مائة وثلاثة وخمسين لاجئاً وصلوا إلى مصر كالدفعة الأولى . وقد كان موقف حضرة صاحب المجد النبيل من اللاجئين مشرفاً لمصر ولأسرتها المالكة ، إذ تحمل نبالته في سبيلهم أتعاباً مادية وروحية ما لا يتحملها إلا الهيئات والحكومات . وبصفتي كنت أحد سكرتيريه المنتدبين في اللجنة قد ملست من نبالته حقائق هي عنوان الرجولة والضمير الحى . وكل ما أستطيع أن أقرر من غزارة عطفه على من ضمنهم اللجنة من إخوانه اللاجئين أنه لم يعمل فيها إلا كشخص ساهى الأخلاق ، متواضع للغاية ، عطوف عليهم كأنهم أبناءه ، وقد صرف عليهم من جيبه الخاص قرابة خمسة عشر ألف جنيه مصرى ، جزاء الله عن عمله الانساني خير الجزاء .

انسحب الجيش المتطوع من القرم عام ١٩٤٤ ، وانضم إليه من استطاع اللحاق به ، وبقى في البلاد بصد القتلى والذبح قرابة نصف مليون مسلم نكل بهم الجيش الأحمر تنكيلاً ثم نفهم موسكو جميعاً دون أن تترك في الجزيرة مسلماً واحداً ، وعرضت قرار إجلائهم عن البلاد على هيئة رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي في ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٦ حيث وقف الرفيق باخموروف

سكرتير الهيئة في المجلس بدلى بالأسباب التي دعت موسكو إلى القيام بهذا العمل للقضاء على حركات القرميين وأهل شمال القوقاز الذين ظلوا ثائرين مدة أعوام طويلة لفصل القرم وشمال القوقاز عن الاتحاد السوفيتي لاسيما بالتعاون مع العدو. نفت موسكو الشعب القرمي إلى مجاهل سيبيريا في أماكن متفرقة لاندرها بالضبط ولوحلت إلينا الأنباء أن معظم الشبان سيقوا إلى معتقلات السخرة في مناطق « كومي » المشنومة وأن البعض الآخرين إلى معتقلات في مناطق اورال وأسكن الكرملين القرم من بعدهم اليهود، والروس، والاوكرانيين، والليتوانيين، وبذلك أسدل الروس في سنة ١٩٤٦ الستار على الشعب القرمي الاسلامي العريق في نسبه الذي يغيرهم في أصلهم وجنسهم ولغتهم ودينهم وتقاليدهم وثقافتهم كل المغايرة وقضوا على القرم ليعودوا إلى تطبيق نفس السياسة النكراء في بلاد القوقاز، وايديل — اورال، والتركستان. معتقلات السخرة :

تدين روسيا السوفيتية نجاحها الاقتصادي قبل كل شيء لغنى طبيعتها بمواد خام ولجيش المعتقلين والأسرى الذين يسخرون في سبيل الانتاج تسخييراً. وتنضارب الأقوال في العالم حول عدد المسخرين في « معتقلات النأديب »، كما تمبر عنهم موسكو، ولكن العدد الذي يكاد المرء يقطع به بالاستناد إلى مصادر وثيقة هو ما يزيد على خمسة وعشرين مليون شخص. فهذه المناطق الشاسعة التي ينتشر في ربوعها هذه المعتقلات حمت روسيا على تنويمها، ولا تخرج حدودها في معظم الاوقات عن حدود المناطق الادارية التي يسميها الروس

خريطة معتقالات السخرة
في سيبريا بالاتحاد السوفيتي



بحر الخلیج

مشرق و زند

البحر الاسود

ایران

معتقل قار

معتقل سیب

معتقل طوچولسکیه

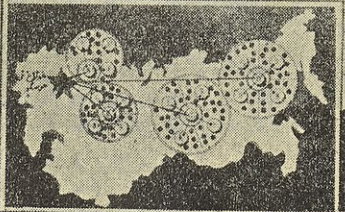
معتقل اوکون

معتقل مشکند

معتقل هروزیه

معتقل قره بیکی

افغانستان شرقیه



« اوبلاست » ويسمى مجلس إدارة هذه المعتقلات « غولاغ » ومركزه في موسكو كما هو مبين في الخريطة .

تقسم هذه المعتقلات بأشراف مجلس إدارتها إلى مناطق يسميها الروس « اوتديلتيه » التي تقسم في دورها إلى معسكرات أصغر تسمى « لاغونكس » ويسخر معسكر من هذه المعسكرات من عدة مئات إلى عدة آلاف عامل . فلاغونس الواحد مثلاً يسخر على المتوسط من ٦٠٠ إلى ١٨٠٠ شخص ، وكل شعبة من هذه المعتقلات لها برنامجها الاقتصادي المطلوب لإنجازه . وأما طعام المسخرين وكسائهم فيتوقف على الكمية المقررة أو النسبة المئوية التي ينالونها مقابل أداء العمل المطلوب . وأما الأمن الداخلي في عموم المناطق فيقوم به جيش أنكافيدى الخاص بطريقته المعروفة عنها .

رسمت هذه الخريطة بناء على الوثائق الروسية السوفيتية الأصلية الرسمية التي سلمت للمعتقلين البولونيين كشهادة لإخلاء السبيل عام ١٩٤٢ وتؤكد ما جاء فيها وأقوال الأسرى الذين عاشوا فيها قديماً وحديثاً ولا سيما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٢ . وفي الجزء العلوي منها صور الوثائق السوفيتية الرسمية من إدارة سلطات المعتقلات ، وأما في الجزء السفلي فصور تنظيمها مع العلم أن الخريطة ليست كاملة بعد . إنها خريطة معتقلات أورال وسيبيريا ، بينما توجد هناك معتقلات كثيرة أخرى مشتتة وخارجة عن هذا التنظيم . فهناك مثلاً معتقلات في أوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، والقوقاز وفي جمهوريات أواسط آسيا . لم تشر في الخريطة مثلاً إلى المعتقلات

الموجودة في منطقة موسكو، ولا إلى الخط الحديدي « تابشت » الذي يبدى في إنشائه موازيا لخط إركوت — شيئا — فلاديفوستوك، ولا إلى الخط الشمالي الماضي في إنشائه والذي سيصل مورمانسك بخليج بهرنج، ولا إلى المعتقلات التي أنشئت في البلاد التي احتلها السوفييت ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤١. وحدود المعتقلات مخطوطة بيضاء. وكل عنوان فيها يرمز إلى اسم المعتقل باختصار وباللغة الروسية. وأما الخطوط الدائرية فترمز إلى معتقلات غير داخلية في نطاق غولاغ وتابعة رأساً لسلطات أنكافيدى. وفيما يلي أسماء المعتقلات الرئيسية واختصاصات عمالها المستقرين :

معتقل سوروك : يستخرج عماله في استحصال المعدن الخفيف، وصناعته، وإنشاء خطوط حديدية، والاتفاق، وحفر القنوات، وفي أعمال كهرلية، وإنشاء مطارات، وصناعة الطوب، وفي المحاجر، وصناعة أخشاب البناء، وصيد السمك. معتقل سيفيرونيكل : يقع جنوبي مورمانسك، ويستخرج عماله في المناجم لاستحصال الألمنيوم، والنيكل، والنحاس، والرصاص، والزنك، والصناعة الحديدية الخفيفة.

معتقل ب. ب. ك : يستخرج عماله في الانشاءات، والاعتناء بالقناة التي تربط بحر البلطيق بالبحر الأبيض المثالي.

معتقل فولغاستروي : يستخرج عماله في الانشاءات، ويقومون بالاعتناء بالقناة التي تصل نهر فولغا ببحر البلطيق، وفي إنشاء خطوط حديدية، وفي المحاجر وفي صناعة أخشاب البناء، وفي إيجاد بحر يسمونه بحر ربنسك بين نهري مولوغا وشكسنا.

معتقل لونغ : يستخرج عماله في صناعة أخشاب البناء، وإنشاء خطوط حديدية، وفي صناعة الطوب، وفي الزراعة.

معتقل كارغوبول : يستخرج عماله في صناعة أخشاب البناء، والزراعة، وإنشاء المطارات.

معتقل سيفدفين : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، والورق ، وفى إنشاء المدن ، والطرق الحديدية ، وحفر القنوات ، وإنشاء المطارات ، وفى المحاجر .

معتقل كولوى : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وجلاء الاناث .

معتقل اوختزم : يسخر عماله فى استخراج البترول ، وفى مناجم الذهب ، والاسمنت والاسفلت ، والفحم ، والرادىوم المستخرج من الماء ، وإنشاء الطرق ،

وفى المحاجر ، وفى صناعة أخشاب البناء ، وفى الزراعة فى صونخوز .

معتقل اوستقم : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، والطوب ، وإنشاء الطرق .

معتقل بيخور : يسخر عماله فى إنشاء خطوط حديدية ، والمطارات ، وفى صناعة أخشاب البناء ، وفى المحاجر ، والزراعة .

معتقل فوركوستروى : يسخر عماله فى إنشاء الطرق ، والسكة الحديدية ، والمطارات ومناجم الفحم .

معتقل سيفزلدور : يسخر عماله فى إنشاء السكة الحديدية بين كوتلاس وفوركو تا .

معتقل اونز : يسخر عماله فى إنشاء سلك الحديد ، وصناعة أخشاب البناء ، والطوب .

معتقل تيمكوفسكيه : وهو معتقل كبير جدا تسخر فيه نساء كثيرات «بوتما» ، ويشغلن فى صناعة أخشاب البناء ، وفى الزراعة فى صونخوز ، وخياطة الملابس

العسكرية المختلفة والصوفية . وفى المعتقل مصنع للالعاب والمسليات الاخرى المصنوعة من الخشب . وحول هذا المعتقل أثناء الحرب إلى مركز إنشاء الصناديق للذخائر الحربية .

معتقلا سامار و بسمين : يسخر العمال فيهما فى مصانع الذخائر ، وفى إنشاء مدينة بسمين الصناعية ، وإنشاء مطارات تحت الارض ، وحفر نهري فولغا ، وإنشاء

الطرق ، وفى المحاجر ، وصناعة الطوب ، والزراعة .

معتقل اوسوبستروى : يسخر العمال فيه فى مصانع ذخائر حربية للتسلح الحربى .

معتقل يوز : يقع فى القوقاز جنوبى باكو ، ويسخر فيه العمال فى إنشاء السكة الحديدية الحربية بين لنكوران وصالانى ، وفى بناء المطارات ، وأعمال التسليح .

معتقل فيات : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق الحديدية ، والمطارات .

معتقل اوسول : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق ، وجلاء الاناث .

معتقل سيفورال : يسخر عماله فى مناجم الذهب ، والمعادن الخفيفة ، والمعادن ذات القيم ، وفى مناجم الفحم ، وصناعة الحديد ، ومصانع الطائرات ، وإنشاء المطارات

وفي المحاجر، وصناعة الطوب، وأخشاب البناء .
معتقل بفذل : يسخر عماله في صناعة أخشاب البناء، وإنشاء الطرق .

معتقل قار : يسخر عماله في مناجم الفحم، والمعادن الخفيفة، وبناء المصانع، والآلات،
وفي المحاجر، والطوب، وإنشاء الطرق الحديدية، وفي الزراعة .
معتقل طوبولسكيه : يسخر عماله في مناجم الفحم، والحديد، وفي المحاجر، وصناعة
الطوب، وإنشاء الطرق .

معتقل سيب : يسخر عماله في مناجم الحديد، وفي المحاجر، وصناعة الطوب، وإنشاء
الطرق، وصناعة أخشاب البناء، والزراعة، والمطاحن، والنسيج، ومصانع
الحياطة، والدباغة، والاسبرتو .

معتقل طوماسن : يسخر عماله في صناعة أخشاب البناء، وإنشاء الطرق، وجليد الآثاث .
معتقل كراس : يسخر عماله في مناجم الفحم، وصناعة أخشاب البناء، وإنشاء الطرق
الحديدية .

معتقل نوريل : يسخر عماله في مناجم الفحم، وصناعة أخشاب البناء، وإنشاء الطرق
الحديدية .

معتقل يوز سيب : يسخر عماله في إنشاء الطرق الحديدية، والطرق العامة، وفي المحاجر،
وصناعة أخشاب البناء .

وأما معتقلات منطقة داستروي الواقعة في أقصى شرق سيبيريا فيرسل إليها السياسيون
أو المجرمون الذين حكم عليهم مدى الحياة ومثلاً :

معتقلات بوز، ونزنيامورسكيه، ودالنيقوستوجنيه : يسخر عمالها في الموانئ، وإنشاء
الطرق، والسكك الحديدية، والتسلح الحربي، وإنشاء المطارات، وتجهيز ذخائر

الجيش والآلات، وفي بناء المدن

معتقلات ياقوتسكيه، وسيففوستوتشنيه، وكوكوتا، وكامتشاتكا، وسخالين : يسخر
عمالها في مناجم الذهب وأغناها في كوليا، وفي مناجم البلاتين، والرصاص،
وإنشاء الطرق، والمطارات، وصناعة أخشاب البناء، وفي المحاجر، وصيد السمك، وتعبئة
حلب كونسرفا .

معتقل نيولاند : يسخر عماله في مناجم الفحم، وصيد السمك .
وأما المعتقلات التي لا تدخل في نطاق هذه المعتقلات والتي أشيرت إليها بخطوط

دائرية واقعة غربي روسيا وفي القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى فيعملون في انشاء المطارات ، والطرق ، وفي المحاجر ، وجميع انواع المصانع ، وأعمال التسليح .

وفي الشعب القرمي التركي الاسلامي بأسره إلى سيبيريا وزج في معتقلاتها المختلفة بتهمة الحركة الانفصالية ، وأصبح مع أهل التشيتشين - إنغوش وغيرهم منذ يونيه ١٩٤٦ يسخر فيها محر ومأمن كل حق إنساني . وقد سكت العالم الشرق في هذا الموضوع وأمسك عن الكلام في محل وجوبه في حين أن المسيحية أسرع تدافع عن الوجهة الاسلامية في القرم وشمال القوقاز ولا سيما منذ ١٩٤٦ . فبم تفسر هذا الموقف الشرق الساي تجاه شعب إسلامي مظلوم ؟! بالضيف ؟! ليس الشرق بضعيف إلى درجة أنه يعجز عن رفع صوته باستنكار الوحشية الروسية خصوصاً أن هؤلاء البؤساء ما طلبوا منه تجريد جيوشه على الروس . بفتور همته ؟! نعم . لم يدرس الشرق روسيا وأساليها ، والأغرب من ذلك أنه لا يريد أن يدرسها ، وللأسف ليس فيه قسم أوخلية تكرر فيها الحياة لدراسة موسكو على حقيقتها ، وقضايا الأقليات في الاتحاد السوفيتي بما فيها مشكلة المسلمين ، والنظم الشيوعية بغية التوصل إلى ماتخفيه روسيا وراء ستارها من خطط للشرق الاسلامي . بينما حفنة من اليهود قد جلبوا لجامعتهم العبرية في القدس قرابة خمسين ألف مجلد يبحث في شؤون الموضوعات المتقدمة الذكر وذلك لايصبحوا شيوعيين إنما ليعرفوا روسيا على حقيقتها وغايات أقليمها وغرائز الشعوب والعناصر التي تتكون منها الامبراطورية الحمراء . وهذا هو السبب في سر نجاحهم في كسب تأييد المسكرين المتعارضين

لدولتهم التي أقاموها غصباً في قلب بلاد الاسلام !
 قضى على القرم بأشنع صورة وتطالب اللجنة العليا للدفاع عن القرميين
 الدول الاسلامية باسم الاسلام ، والاوربيين باسم الانسانية ، باعادة الشعب
 المنفى المسخر في سبيير الى وطنه . فالدفاع عن القرم والقرميين ومن في حكمهم
 ضروري لتفادي حوادث المستقبل الالمية التي ستمخض عن السكوت أمام الظلم
 الموسكوفي . ورب قائل يقول ما لنا وحالة القرم ومسلمي الشمال مادام
 الخطر بعيداً عنا بمراحل ؟ فيجيب هؤلاء عليه أولاً بأنهم أخذوا الاسلام
 عن العرب عن الذين نقلوا اليهم حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائل
 « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى
 له سائر الجسد بالسهر والحمى » أين هم المسلمون ، وأين السهر ، وأين الحمى ؟
 القرميون يرجون دول الجامعة العربية والاسلامية أن تهتم بهذه
 الكارثة الاسلامية في بلادها وفي مجالس هيئة الأمم ، وأن تقف في دورات
 مجالس هيئة الأمم للدفاع عن حق القرم كما وقفت المسز باربارا كاسل الندوبة
 الانجليزية الشجيرة المشكورة السعى تدافع على لسان الانجليز في ليك سكسيس
 في اكتوبر سنة ١٩٤٩ عن حقوق القرم وبلاد التشيتشين - انغوش حتى
 اندهش لمعلوماتها الأعضاء المسلمون مع إظهار تأثيرهم العميق لما وصلت إليه
 حالة إخوانهم في البلاد المذكورة .

ولإنهم يحيون عليه ثانياً بأن الشيوعية لو أنها دامت لمدة ربع قرن آخر لن
 نجد في روسيا وطناً قومياً حتى نقول هذا للمسلمين وذاك للمسيحيين . نعم ،

تقضى الدولة الشيوعية على المسيحيين أسوة بالمسلمين وتخطط الشعوب في بعضها ولكن النتيجة تصل إلى إفادة العنصر السلافي أكثر من غيره إذ تذاب فيه العناصر الأخرى لأمر اتقنت الروس سياستها وهي جل ما كان يرجوه القياصرة من وراء الاضطهاد في عهودهم السابقة. والنتيجة بالنسبة للعرب ولغيرهم من المسلمين ستكون أوخم لو أنهم فشلوا في إلزام موسكو وحدودها اليوم إذ أنها سوف تتمكن من القضاء على شعوب القوقاز، وايديل - اورال، والتركستان بتشريد أهلها كما قضت على القرم وسوف يخرج كل وليد في البطن الثاني أو الثالث على العرب والمسلمين ليمثل دور من كان أجدادهم مؤمنين ثم انقلب أحفادهم بسبب الاضطهاد الذي لم يهتم به العالم الاسلامي أعداء الاسلام الألداء وعندئذ سيخفون إلى الشرق للاستيلاء عليه بصفتهم روسيين كما سبق أن ذكرت أدلته بين جلدي هذا الكتاب.

على الشرق الاسلامي أن يفهم خطورة الاضطهاد في روسيا لا من حيث المقدمات العاطفية التي أصبحت تزول بمجرد الانتقال من موضوع الحديث، بل عليه أن يفهمها من حيث النتائج التي وصلت إليها الحالة الاسلامية في روسيا القيصرية والشيوعية، وأن يدرس حالة الاتحاد السوفيتي لا عن ركن الاقتصاد الذي تستفيد منه موسكو فقط، ولا عن العاصمة الروسية، ولا خلال المنظار الشيوعي بل عليه أن يدرسها من ناحية لها خطورتها العظمى ألا وهي القضاء على كيان الدول وإذابة الأقليات في

العنصر الروسي .

تقول موسكو إنها خلقت من أرض الاتحاد « جنة » . وهل من شخص
عالم بحال شعوب الاتحاد السوفيتي فتح له الكرمين أبواب « جنة الموصدة »
حتى يتسنى له زيارة المقاطعات الإسلامية وغيرها والخلوة مع أهلها ، والمراقبة
والمقارنه ؟؟ لا ، لم يحدث شيء من ذلك قطعاً . وإذا كانت هنالك جنة
لم تغلق أبوابها في وجه العالم ؟! أليس من الأحسن أن يدعو الشيوعيون
لزيارتها الناس حتى يتكلم عنها الجمهور بأدلة واقعية أخذت من صميم الحياة
في « الفردوس الشيوعي » ؟!

حقيقة الموضوع هو أن الشعوب والأقليات في روسيا مستعبدة معذبة ،
والمسلمون مثل غيرهم يقاومون الاضطهاد ، ولكن مقاومة الانسان لاشك
لها حدودها . فالجيل الحديث مثلاً قد نشأ وتربى في مدارس إلحادية بعيداً عن
أصول الاسلام وهؤلاء لا يعرفون الآن عن الاسلام شيئاً ، هذا ما أنتجته
الشيوعية من تمار في ربع قرن مضى واحكموا انتم أيها السادة على خطورة
تناجحاً بعد ربع قرن آخر .

أعود إلى خطورة الشيوعية فأكرر أن الاعتراض ببعدها الخطر الشيوعي
البلشفي عن الشرق الاسلامي سيجر أهل إلى نكبات جد مؤلمة وأن الأخذ
بنظرية بعد المسافة بينه وبين موسكو غير سليمة على الإطلاق . إذ هكذا
اغتر في التاريخ رجال الامبراطورية العثمانية ببعدها الخطر الموسكوفي على
الرغم من مساعي ملوك القرم للفت أنظارهم إلى ذنوبه ولكنهم مع الأسف

ما أحسوا به إلا بعد فوات الأوان .

لم نتمكن من إنقاذ القرم على الرغم من المساعي الجبارة التي بذلناها بكل ما في البذل من معنى ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وله عابة الامور . وقد أثبتت المشاكل التاريخية والحديثة أن ذكاء الانسان وحده لا يجدى نفعاً حين يضطرب الموقف ويتخرج خصوصاً في بلاد الروس ، وأنه يعجز بالمرّة عن انقاذ الحالة واسعافها لاسيما لو بات صدى الاستغاثة عقيم لا تردده قوة خارجية بالانجباب ، فكم من معارك حربية يضيعها الجيش وكم من مواقع حامية تسجل على الجنود ، والساسة ولكنهم يسترجعون همتهم ونشاطهم من نور وطنهم ، وأما الروس فيقضون على الوطن الاصلى ، وهامهم الذين أطفئوا هذا النور المقدس في القرم بنفى آخر مسلم فيها الى سيبيريا وزجوه الى معتقلات السخرة . ولقد دافع هذا الشعب النبيل في تاريخه الحديث القديم عن جناح الاسلام الايمن بكل فخر ، ولم يتوغل الروس في الدول الاسلامية إلا بعد الاستيلاء على القرم فالى دول الجامعة العربية والاسلامية التي عهدت للقرم من القديم الدفاع عن هذا الجناح باسم الاسلام ، وإلى الدولة التركية الشقيقة العظيمة التي وقف بجانب جيوشها في كل معركة تقريباً ما يزيد على خمسين ألف مقاتل فارس قرمى باسم الاخاء والدماء المراقبة ، وإلى دول الغرب باسم الانسانية والمدنية يوجه اليوم الشعب القرمى الأسير والمسخر في سيبيريا فدائه الحزين على لسان جنّتها العليا طالباً فك أسره والعمل على إعادته إلى القرم . أيها الشبان ، أيها المجاهدون الذين يتحملون آلام القرم في سبيل

الحق ، وللهق نور في قلوب الذين آمنوا به ينير لهم أوعر المسالك ويدفعهم إلى بذل النفس رخيصة في سبيله ، وقد تزيد علينا الحياة مشقة ، وتضييق الأرض بما وسعت ، ولهذا قد يضطر طويلا إلى قرض الخبز الناشف ، ويتمثل فينا البؤس والشقاء في المهجر وليسكن الله سينصرنا في النهاية وتذكروا دائما أن التاريخ يكتبه المهاجرون بدمائهم الحمراء ، «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم» .

مطبعة الصاوي بعابدين الباهرة

يطلب من مكتبة الخانجي
بشارع عبد العزيز بالقاهرة

التمن عشرون قرشاً

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

